ذكر أيام العرب في الجاهلية

لم يذكر أبو جعفر من أيامها غير يوم ذي قار، وجُذيمة الأبرش، والزبّاء، وطسم، وجَديس/ ج١ ٢٩٨/ط ، وما ذكر ذلك إلا حيث أنهم ملوك، فأغفل ما سوى ذلك. ونحن نذكر الأيام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمعٍ كثير وقتال شديد، ولم أعرج على ذكر غارات تشتمل على النفر اليسير؛ لأنه يكثر ويخرج عن الحصر، فنقول وبالله التوفيق.

ذكر حرب زهير بن جناب الكلبي مع غطفان وبكر وتغلب وبني القين

كان زهير بن جناب بن هُبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة الكلبي أحد من اجتمعت عليه قضاعة، وكان يدعى: الكاهن لصحة رأيه، وعاش مائتين وخمسين سنة، أوقع فيها مائتي وقعة، وقيل: عاش أربعمائة وخمسين سنة، وكان شجاعاً مظفراً ميمون النقيبة.

وكان سبب غزاته غطفان: أن بني بغيض بن ريث بن غطفان حين خرجوا من تهامة ساروا بأجمعهم، فتعرضت لهم صداء، وهي قبيلة من مذحج، فقاتلوهم، وبنو بغيض سائرون بأهليهم وأموالهم، فقاتلوهم عن حريمهم، فظهروا على صداء وفتكوا فيهم، فعزت بغيض بذلك، وأثرت وكثرت أموالها، فلما رأوا ذلك قالوا، والله لنتخذن حرماً مثل مكة لا يقتل صيده ولا يهاج عائذه، فبنوا/ ج١ ٧٣/أ حرماً ووليه بنو مرة بن عوف، [1]فلما بلغ[1] فعلهم وما أجمعوا عليه زهيرَ بن جناب، قال: والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حيّ، ولا أخلّي غطفان تتخذ حرماً أبداً، فنادى في قومه فاجتمعوا إليه، فقام فيهم فذكر حال غطفان وما بلغه عنهم، وقال: إن أعظم مأثرة يدَّخرها هو وقومه أن يمنعوهم من ذلك، فأجابوه، فغزا بهم غطفان وقاتلهم أبرح قتالٍ وأشده، وظفر بهم زهير، وأصاب حاجته منهم، وأخذ فارساً منهم في

(1-1) في المخطوطة: فبلغ.

حرمهم فقتله وعطّل ذلك الحرم، [ثم منّ] على غطفان، ورد النساء وأخذ الأموال، وقال زهير في ذلك:

فلم تصبر لنا غطفان لما ... تلاقينا وأُحرزت النساءُ
فلولا الفضل منا ما رجعتم ... إلى عذراء شيمتها الحياء
فدونكم ديوناً فاطلبوها ... وأوتاراً ودونكم اللقاء
فإنا حيث لا يخفى عليكم ... ليوثٌ حين يحتضر اللواء
فقد أضحى لحي بني جنابٍ ... فضاءُ الأرض والماء الرِّواء
نفينا نخوة الأعداء عنا ... بأرماحٍ أسنَّتُها ظِماء
ولولا صبرنا يوم التقينا ... لقينا مثل ما لقيت صُداء
غداة تضرعوا لبني بغيضٍ ... وصدق الطعن للنَّوْكَى شِفاء/ ج١/٢٩٩/ط

وأما حربه مع بكر وتغلب ابني وائل، فكان سببها: أنَّ أبرهة حين طلع إلى نجد أتاه زهير، فأكرمه وفضّله على من أتاه من العرب، ثم أمَّره على بكر وتغلب ابني وائل، فوليهم حتى أصابتهم سنةٌ، فاشتد عليهم ما يطلب منهم من الخراج، فأقام بهم زهير في الحرب، ومنعهم من النجعة حتى يؤدوا ما عليهم، فكادت مواشيهم تهلك. فلما رأى ذلك ابن زيابة أحد [بني] تيم الله بن ثعلبة، وكان فاتكاً، أتى زهيراً وهو نائم، فاعتمد التيمي بالسيف على بطن زهير، فمر فيها حتى خرج من ظهره مارقاً[1] بين الصفاق، وسلمت أمعاؤه وما في بطنه، وظن التيمي أنه قد قتله، وعلم زهير أنه قد سلم فلم يتحرك لئلا يجهز عليه، فسكت. فانصرف التيمي إلى قومه، فأعلمهم أنه قتل زهيراً، فسرّهم ذلك،ولم يكن مع زهير إلا نفراً من قومه، فأمرهم أن يظهروا أنه ميت، وأن يستأذنوا بكراً وتغلب في دفنه، فإذا أذنوا دفنوا ثياباً ملفوفة، وساروا به مجدين إلى قومهم، ففعلوا ذلك، فأذنت لهم بكر وتغلب في دفنه، فحفروا وعمقوا ودفنوا ثياباً ملفوفة لم يشك من رآها أن فيها ميتاً، ثم ساروا مجدين إلى قومهم، فجمع لهم زهير الجموع، وبلغهم الخبر، فقال ابن زيابة:

طعنةً ما طعنت في غبش الليـ ... ـل زهيراً وقد توافى الخصوم
حين يحمي له المواسم بكرٌ ... أين بكرٌ وأين منها الحلوم؟
خانني السيف إذ طعنت زهيراً ... وهو سيف مضلل مشؤوم

(١) مارقاً: ماراً.

وجمع زهير من قدر عليه من أهل اليمن، وغزا بكراً وتغلب، وكانوا علموا به، فقاتلهم قتالاً شديداً انهزمت [به بكر، وقاتلت تغلب بعدها فانهزمت] أيضاً، وأسر كليب ومهلهل ابنا ربيعة، وأخذت الأموال وكثرت القتلى في بني تغلب، وأسر جماعة من فرسانهم ووجوههم، فقال زهير في ذلك من قصيدة:

أين أين الفرار من حذر الموت إذ يتقون بالأسلاب؟
إذ أسرنا مهلهلاً وأخاه وابن عمروٍ في القيد وابن شهاب
وسبينا من تغلب كلَّ بيضاء رقود الضحى برود الرُّضاب
حين يدعو مهلهلاً يا لبكرٍ ها أهذي حفيظة الأحساب
ويحكم ويحكم أبيح حماكم يا بني تغلب أنا ابن رضاب
وهم هاربون في كل فجٍ كشريد النعام فوق الروابي
واستدارت رحى المنايا عليهم بليوثٍ من عامرٍ وجناب/ ج١/٣٠٠/ط
فَهُمُ بين هاربٍ ليس يألوا وقتيلٍ معفرٍ في التراب
فضل العز عزنا حين نسمو مثل فضل السماء فوق السحاب

وأما حربه مع بني القَيْن بن جَسر فكان[1] سببها: أن أختاً لزهير كانت متزوجة فيهم، فجاء رسولها إلى زهير ومعه صرة فيها رمل وصرة فيها شوك قتاد، فقال زهير: إنها تخبركم أنه يأتيكم عدو كثير ذو شوكة شديدة، فاحتملوا. فقال الجلاح بن عوف السُّحمي: لا نحتمل لقول امرأة، فظعن زهير وأقام الجلاح، وصبحه الجيش فقتلوا عامة قوم الجلاح، وذهبوا بأموالهم وماله، ومضى زهير، فاجتمع مع عشيرته من بني جناب، وبلغ الجيش خبره فقصدوه، فقاتلهم وصبر لهم، فهزمهم، وقتل رئيسهم، فانصرفوا عنه خائبين[1].

ولما طال عمر زهير وكبر سنه استخلف ابن أخيه عبد الله بن عليم، فقال زهير يوماً: ألا إن الحيّ ظاعنٌ، فقال عبد الله: ألا إن الحيّ مقيمٌ، فقال زهير: من هذا المخالف عليّ؟ فقالوا: ابن أخيك عبد الله بن عليم، فقال: أعدى الناس للمرء ابن أخيه، ثم شرب الخمر صرفاً حتى مات[2].

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٩/ ٢٤، ٢٥).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١٩/ ٢٤).

(1) في المخطوطة: وكان.

[وممن شرب الخمر صرفاً حتى مات]: عمرو بن كلثوم التغلبي، وأبو عامر ملاعب الأسنة/ العامري. ج١/٧٣/ب

ذكر يوم البردان

فكان من حديثه أن زياد بن الهبولة[١] ملك الشام، وكان من سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. أغار على حجر بن عمرو [بن معاوية بن الحارث] الكندي ملك عرب[1] بنجد ونواحي العراق، وهو يلقب: آكل المُرار، وكان حجر قد أغار في كندة وربيعة على البحرين، فبلغ زياداً خبرهم، فسار إلى أهل حجر وربيعة وأموالهم وهم خلوف، ورجالهم في غزاتهم المذكورة، فأخذ الحريم، والأموال، وسبى منهم هنداً[2] بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية، وسمع حجر وكندة وربيعة بغارة زياد، فعادوا عن غزوهم في طلب ابن الهبولة، ومع حجر أشراف ربيعة عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان. [وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان] وغيرهما، فأدركوا عمراً بالبردان[٢] دون عين أباغ وقد أمن الطلب، فنزل حجر في سفح جبل، ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء، يقال له: حفير، فتعجل عوف بن محمل وعمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان وقالا لحجر: إنا متعجلان إلى زياد، لعلنا نأخذ منه بعض ما أصاب منا، فسارا إليه، وكان بينه وبين عوف إخاء، فدخل عليه، وقال له: يا خير الفتيان اردد عليّ امرأتي أُمامة. فردها عليه وهي حامل، فولدت له بنتاً أراد عوف أن يئدها فاستوهبها منه/ عمرو بن أبي ربيعة وقال: لعلها تلد أُناساً فسميت: أمَّ أناس، فتزوجها الحارث بن عمرو ابن حجر آكل المرار، فولدت عمراً، ويعرف: بابن أمَّ أناس. ج١/٣٠١/ط

ثم إنّ عمرو بن أبي ربيعة قال لزياد: يا خيرَ الفتيان اردد عليّ ما أخذت من إبلي، فردها عليه وفيها فحلها، فنازعه الفحل إلى الإبل، فصرعه عمرو، فقال له زياد: يا عمرو لو صرعتم يا بني شيبان الرجال كما تصرعون الإبل لكنتم أنتم أنتم! فقال له عمرو: لقد أعطيت قليلاً، وسميت جليلاً، وجررت على نفسك ويلاً طويلاً! ولتجدن منه، ولا والله لا تبرح حتى أروي سناني من دمك! ثم ركض فرسه حتى صار[3] إلى حجر، فلم يوضح له الخبر،

(١) ذكره المفضل في «تاريخ العرب» (٣/ ٣٢٠)، وانظر: ابن دريد (٢/ ٣١٩).
(٢) البردان: جبل قرب مكة.

(1) في المخطوطة: عرب الشام.
(2) في المخطوطة: بنت.
(3) في المخطوطة: سار.

فأرسل سدوس بن شيبان بن ذهل وصليع بن عبد غنم يتجسسان له الخبر، ويعلمان علم العسكر، فخرجا حتى هجما على عسكره ليلاً وقد قسم الغنيمة، وجيء بالشمع، فأطعم الناس تمراً وسمناً، فلما أكل الناس نادى: من جاء بحزمة حطب فله قدرة تمر.

فجاء سدوس وصليع بحطب، وأخذا قدرتين من تمر، وجلسا قريباً من قبته. ثم انصرف صليع إلى حجر، فأخبره بعسكر زياد وأراه التمر، وأما سدوس فقال: لا أبرح حتى آتيه بأمرٍ جلي. وجلس مع القوم يتسمع ما يقولون، وهند امرأة حجر خلف زياد، فقالت لزياد: إنَّ هذا التمر أُهْديَ إلى حجر من هجر، والسمن من دومة الجندل، ثم تفرق أصحاب زياد عنه، فضرب سدوس يده إلى جليس له، وقال له: من أنت؟ مخافة أن يستنكره الرجل، فقال: أنا فلان بن فلان. ودنا سدوس من قبة زياد بحيث يسمع كلامه؛ ودنا زياد من امرأة حجر، فقبّلها وداعبها. وقال لها: ما ظنك الآن بحجر؟ فقالت: ما هو ظن ولكنه يقين، إنه والله لن يدع طلبك حتى تعاين القصور الحمر، يعني: قصور الشام، وكأني به في فوارس من بني شيبان يذمرهم ويذمرونه، وهو شديد الكلب، تزبد شفتاه كأنه بعير أكل مراراً، فالنجاء فالنجاء! فإن وراءك طالباً حثيثاً، وجمعاً كثيفاً، وكيداً متيناً، ورأياً صليباً.

فرفع يده فلطمها، ثم قال لها: ما قلت هذا إلا من عجبك به وحبك له! فقالت: والله ما أبغضت أحداً بغضي له، ولا رأيت رجلاً أحزم منه نائماً ومستيقظاً، إن كان لتنام عيناه فبعض أعضائه مستيقظ!، وكان إذا أراد النوم أمرني أن أجعل عنده عساً من لبن، فبينا هو ذات ليلة نائم، وأنا قريب منه أنظر إليه، إذ أقبل أسود سالخ إلى رأسه [فنحى رأسه]، فمال إلى يده فقبضها فمال إلى رجله فقبضها، فمال إلى العس فشربه ثم مجه، فقلت: يستيقظ فيشربه فيموت فأستريح منه. فانتبه من نومه فقال: عليّ بالإناء، فناولته فشمه ثم ألقاه فهريق، فقال: أين ذهب/ الأسود؟ فقلت: ما رأيته، فقال: كذبت والله! وذلك كله يسمعه سدوس، فسار حتى أتى حجراً، فلما دخل عليه قال: ج١/٣٠٢ط

أتاك المرجفون بأمر غيبٍ ... على دهش وجئتك باليقين
فمن يك قد أتاك بأمر لبسٍ ... فقد آتي بأمرٍ مستبين

ثم قص عليه ما سمع، فجعل حجر يعبث بالمرار ويأكل منه غضباً وأسفاً، ولا يشعر أنه يأكله من شدة الغضب، فلما فرغ سدوس من حديثه وجد حجر المرار، فسُمّي يومئذٍ: آكل المرار[1].

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩/ ٧٨).

والمرار: نبت شديد المرارة لا تأكله دابة إلا قتلها، ثم أمر حجر فنودي في الناس، وركب، وسار إلى زياد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم زياد وأهل الشام، وقتلوا قتلاً ذريعاً، واستنقذت/ بكر وكندة ما كان بأيديهم من الغنائم والسبي، وعرف سدوس زياداً فحمل عليه فاعتنقه وصرعه وأخذه أسيراً، فلما رآه عمرو بن أبي ربيعة حسده، فطعن زياداً فقتله. فغضب سدوس، وقال: قتلت أسيري وديته دية ملكٍ، فتحاكما إلى حجر، فحكم على عمرو وقومه لسدوس بدية ملك، وأعانهم من ماله، وأخذ حجر زوجته هنداً فربطها في فرسين، ثم ركضهما حتى قطعاها، ويقال: بل أحرقها، وقال فيها:

ج١ / ١/٧٤

إنّ من غره النساء بشيء ... بعد هندٍ لجاهل مغرور
حلوة العين والحديث ومر ... كل شيء أجنّ منها الضمير
كل أنثى [1وإن1] بدا لك منها ... آية الحبّ حبُّها خيتعور(١)

[ثم عاد إلى الحيرة].

قلت: هكذا قال بعض العلماء: إنّ زياد بن هبولة السّليحيّ ملك الشام غزا حجراً، وهذا غير صحيح؛ لأن ملوك سليح[2] كانوا بأطراف الشام[3] [مما يلي البر من فلسطين إلى قنسرين والبلاد للروم، ومنهم أخذت غسان هذه البلاد، وكلهم كانوا عمالاً لملوك الروم، كما كان ملوك الحيرة عمالاً لملوك الفرس على البر والعرب، ولم يكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشام، ولا بشبر واحد على سبيل التفرد والاستقلال، وقولهم: ملك الشام]، غير صحيح، وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارف الشام أقدم من حجر آكل المرار بزمان طويل؛ لأن حجراً هو جد الحارث بن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباذ أبي أنوشروان. وبين ملك قباذ والهجرة نحو مائة وثلاثين سنة، وقد ملكت غسان أطراف الشام بعد سليح ستمائة سنة، وقيل: خمسمائة سنة. وأقل ما سمعت فيه ثلثمائة سنة وستة عشرة سنة، وكانوا بعد سليح، [ولم يكن زياد آخر ملوك سليح، فتزيد المدة زيادة أخرى]/ ، وهذا تفاوتٌ كثير، فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه؟ وحيث أطبقت رواة العرب على هذه الغزاة فلا بد من توجيهها، وأصلح ما قيل فيه: إنّ زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم، أو متغلباً على بعض أطراف الشام حتى يستقيم

ج١ / ٣٠٣/ط

(١) خيتعور: كل ما لا يدوم على حاله.

(1) في المخطوطة: فإن.
(2) في المخطوطة: سليع إنما.
(3) في المخطوطة: الشام فقتلهم ملك الشام.

هذا القول، والله أعلم. وقولهم أيضاً: إنّ حجراً عاد إلى الحيرة، لا يستقيم أيضاً؛ لأن ملوك الحيرة من ولد عديّ بن نصر اللخمي لم ينقطع ملكهم لها إلا أيام قباذ، فإنه استعمل الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار كما ذكرناه قبل، فلما ولي أنوشروان عزل الحارث وأعاد اللخميين، ويشبه أن يكون بعض الكنديين قد ذكر هذا تعصباً، [والله أعلم]. إنَّ أبا عبيدة ذكر هذا اليوم، ولم يذكر أنّ ابن هبولة من سليح، بل قال: هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان، ولم يذكر عوده إلى الحيرة، فزال هذا الوهم.

وسليح: بفتح السين المهملة، وكسر اللام، وآخره حاء مهملة].

ذكر مقتل حجر أبي امرىء القيس والحروب الحادثة بمقتله إلى أن مات امرؤ القيس

نذكر أولاً سبب ملكهم العرب بنجد، ونسوق الحادثة إلى قتله وما يتصل به فنقول: كان [سفهاء بكر قد غلبوا على عقلائها وغلبوهم على الأمر، وأكل القويّ الضعيف؛ فنظر العقلاء في أمرهم، فرأوا أن يملكوا عليهم ملكاً يأخذ للضعيف من القوي، فنهاهم العرب، وعلموا أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم؛ لأنه يطيعه قوم ويخالفه آخرون، فساروا إلى بعض تبابعة اليمن، وكانوا للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين، وطلبوا منه أن يملك عليهم ملكاً، فملّك عليهم [حجر بن عمرو آكل المرار]، فقدم عليهم ونزل ببطن عاقل، وأغار ببكر، فانتزع عامة ما كان بأيدي اللخميين من أرض بكر، وبقي كذلك إلى أن مات، فدفن ببطن عاقل، فلما مات صار عمرو بن حجر آكل المرار، [وهو المقصور، ملكاً بعد أبيه، وإنما قيل له: المقصور؛ لأنه قصر على ملك أبيه، وكان أخوه معاوية، وهو الجون، على اليمامة.

فلما مات عمرو ملك بعده ابنه الحارث، وكان شديد الملك [1]بعيد الصوت[1]. فلما ملك قباذ بن فيروز الفرس خرج في أيامه مزدك، فدعا الناس إلى الزندقة، كما ذكرناه، فأجابه قباذ إلى ذلك، وكان المنذر بن ماء السماء عاملاً للأكاسرة على الحيرة ونواحيها، فدعاه قباذ إلى الدخول معه، فامتنع، فدعا الحارث بن عمرو إلى ذلك فأجابه، فاستعمله على الحيرة، وطرد المنذر عن مملكته[(١)].

(١) ذكره الأصفهاني في «تاريخ سنيّ ملوك الأرض» (٩١)، وذكره أيضاً في «الأغاني» (٩/ ٧٩).

(1-1) في المخطوطة: بعد المقصور.

ج١/٣٠٤/ط وقيل في تمليكه غير ذلك، وقد ذكرناه أيام قباذ، فبقوا/ كذلك إلى أن ملك كسرى أنوشروان بن قباذ بعد أبيه، فقتل مزدك وأصحابه، وأعاد المنذر بن ماء السماء إلى ولاية الحيرة، وطلب الحارث بن عمرو، وكان بالأنبار وبها منزله، فهرب بأولاده وماله وهجانه، وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وإياد وبهراء، فلحق بأرض كلب فنجا، وانتهبوا ماله وهجانه، وأخذت تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار، فيهم: عمرو ومالك ابنا الحارث، فقدموا بهم على المنذر، فقتلهم في ديار بني مرينا، وفيهم [1]يقول عمرو بن كلثوم[1]:

فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وأُبنا بالملوك مصفَّدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس:

ملوكٌ من بني حجر بن عمرو ... يساقون العشيَّة يُقتلونا
فلو في يوم معركةٍ أُصيبوا ... ولكن في ديار بني مرينا
ولم تُغسل جماجمهم بغسلٍ ... ولكن في الدماء مرملينا[(١)]
تظل الطير عاكفة عليهم ... وتنتزع الحواجب والعيونا[(٢)]

وأقام الحارث بديار كلب، فتزعم كلب: أنهم قتلوه، وعلماء كندة تزعم: أنه خرج يتصيد، فتبع تيساً من الظباء فأعجزه، فأقسم أن لا يأكل شيئاً إلا من كبده، فطلبته الخيل، فأتى به بعد ثلاثة، وقد كان يهلك جوعاً[(2)]، فشوي له بطنه، فأكل فلذةً من كبده حارة فمات.

ولما كان الحارث بالحيرة أتاه أشراف عدة قبائل من نزار، فقالوا: إنا في طاعتك، وقد وقع بيننا من الشر بالقتل ما تعلم، ونخاف الفناء فوجِّه معنا بنيك ينزلون فينا، فيكفون بعضنا عن بعض. ففرق أولاده في قبائل العرب، فملك ابنه حجراً على بني أسد بن خزيمة وغطفان، وملك ابنه شرحبيل، وهو الذي قتل يوم الكلاب، على بكر بن وائل بأسرها وعلى غيرها، وملك ابنه معد يكرب، وهو غلفاء، [وإنما قيل له: غلفاء]؛ لأنه ج١/٧٤/ب كان يغلف رأسه/ بالطيب، على قيس عيلان وطوائف غيرهم، وملك ابنه سلمة على تَغلب، والنمر بن قاسط، وبني سعد بن زيد مناة من تميم[(٣)].

(١) مرملينا: ملطخين.
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩/ ٨٠).
(٣) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩/ ٨١، ٨٢).

(1-1) في المخطوطة: عمرو بن كلثوم يقول. (2) في المخطوطة: في الجوع والعطش.

فبقي حجر في بني أسد، وله عليهم جائزة وإتاوة كلّ سنة لما يحتاج إليه، فبقي كذلك دهراً، ثم بعث إليهم من يجبي ذلك منهم، وكانوا بتهامة، وطردوا رسله وضربوهم، فبلغ ذلك حجراً، فسار إليهم بجند من ربيعة، وجند من جند أخيه من قيس وكنانة، فأتاهم فأخذ سرواتهم وخيارهم، وجعل يقتلهم بالعصا/، وأباح الأموال، وسيرَّهم إلى تهامة، وحبس منهم جماعة من أشرافهم، منهم: عبيد بن الأبرص[1] الشاعر، فقال شعراً يستعطفه لهم، فرقّ لهم وأرسل من يردهم، فلما صاروا على يوم منه تكهن كاهنهم، وهو عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي. فقال لهم: من الملك الصَلهب، الغلاب غير المغلب، في الإبل كأنها الربرب، هذا دمه، يتثعب، وهو غداً أول من يستلب؟ قالوا: ومن هو؟ قال: لولا تجيش نفس خاشية، لأخبرتكم أنه حجر، ضاحية، فركبوا كل صعب وذلول حتى بلغوا إلى عسكر حجر، فهجموا عليه في قبته فقتلوه، وطعنه علباء بن الحارث الكاهلي فقتله، وكان حجر قتل أباه، فلما قتل قالت بنو أسد: يا معشر كنانة وقيس، أنتم إخواننا [1]وبنو عمنا[1]، والرجل بعيد النسب منا ومنكم، وقد رأيتم سيرته وما كان يصنع بكم هو وقومه، فانتهبوهم. فشدوا على هجانه فانتهبوها، ولفوه في رَيطة بيضاء وألقوه على الطريق، فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه، وأجار عمرو بن مسعود عياله[٢].

ج١/٣٠٥/ط

وقيل: إنَّ حجراً[2] لما رأى اجتماع بني أسد [عليه] خافهم، فاستجار عويمر بن شجنة، أحد بني عطارد بن كعب بن زيد مناة بن تميم، لبنته هند بنت حجر وعياله، وقال لبني أسد: إن كان هذا شأنكم فإني مرتحل عنكم ومخليكم وشأنكم. فوادعوه على ذلك وسار عنهم، وأقام في قومه مدةً، ثم جمع لهم جمعاً عظيماً، وأقبل إليهم مدلاً بمن معه، فتآمرت بنو أسد، وقالوا: والله لئن قهركم ليحكمنَّ عليكم حكم الصبي، فما خير العيش حينئذٍ فموتوا كراماً. فاجتمعوا وساروا إلى حجر [فلقوه]، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وكان صاحب أمرهم علباء بن الحارث، فحمل على حجر فطعنه[3] فقتله، وانهزمت كندة ومن معهم، وأسر بنو أسد من أهل بيت حجر، وغنموا حتى ملأوا أيديهم من الغنائم،

---

(١) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١/ ١٨٧)، وذكره ابن سلام في «طبقات الشعراء» (١١٦)، وذكره القالي في «الأمالي» (٣/ ١٩٩)، وذكره البغدادي في «خزانة الأدب» (١/ ٣٢٢).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩/ ٨٤).

(1-1) في المخطوطة: بني أعمامنا.

(2) في المخطوطة: عمرو.

(3) في المخطوطة: واطعنه.

وأخذوا جواريه ونساءه وما معهم، فاقتسموه بينهم[١].

وقيل: إنّ حجراً أُخذ أسيراً في المعركة وجعل في قبة، فوثب عليه ابن أخت علباء فضربه بحديدة كانت معه؛ لأن حجراً كان قتل أباه، فلما جرحه لم يقض عليه، فأوصى حجر، ودفع كتابه إلى رجل، وقال له: انطلق إلى ابني نافع، وكان أكبر أولاده[1]، فإن بكى وجزع فاتركه، واستقرهم واحداً واحداً، حتى تأتي امرؤ القيس، وكان أصغرهم، فأيهم لم يجزع فادفع إليه خيلي وسلاحي ووصيتي. وقد كان بيَّن في وصيته مَن قتله وكيف كان خبره.

فانطلق الرجل بوصيته إلى ابنه نافع، فوضع التراب على رأسه، ثم أتاهم كلهم، ففعلوا مثله حتى أتى امرأ القيس، فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويلعب معه بالنرد، فقال: قتل حجر، فلم يلتفت إلى قوله، وأمسك نديمه، فقال له امرؤ القيس: اضرب، فضرب حتى/ إذا فرغ، قال: ما كنت لأفسد[2] دستك، ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله، فأخبره، فقال [له]: الخمر والنساء عليّ حرام حتى أقتل من بني أسد مائة وأطلق مائة، وكان حجر قد طرد امرأ القيس لقوله الشعر، وكان يأنف منه، [وكانت أم امرىء القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث أخت كليب بن وائل]، وكان يسير في أحياء العرب يشرب الخمر على الغدران ويتصيّد، فأتاه خبر قتل أبيه وهو بدمّون من أرض اليمن، فلما سمع الخبر قال:

ج١/٣٠٦/ط

تطاول الليل علينا دمّون دمّون إنا معشر يمانون
وإننا لقومنا محبون[٢]

ثم قال: ضيَّعني صغيراً وحمَّلني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غداً، اليوم خمرٌ وغداً أمرٌ. فذهبت مثلاً، ثم ارتحل حتى نزل ببكر وتغلب، فسألهم النصر على بني أسد، فأجابوه. فبعث العيون إلى بني أسد، فنذروا به، فلجأوا إلى بني كنانة، وعيون امرىء القيس معهم، فقال لهم علباء بن الحارث: اعلموا أن عيون امرىء القيس قد عادوا إليه بخبركم، وأنكم عند بني كنانة، فارحلوا بليل، ولا تعلموا بني كنانة. فارتحلوا، وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب وغيرهم، حتى انتهى إلى بني كنانة، وهو يظنهم بني أسد، فوضع السلاح فيهم وقال: يا لثارات الملك، يا لثارات الهمام! فقيل[3] له: أبيت

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩/ ٨٤، ٨٥).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩/ ٨٨).

(1) في المخطوطة: ولده.
(2) في المخطوطة: لأفسد عليك.
(3) في المخطوطة: فقال.

اللعن! لسنا لك بثأر، نحن بنو كنانة، فدونك ثأرك فاطلبهم، فإن القوم قد ساروا بالأمس. فتبع بني أسد، ففاتوه ليلتهم، فقال في ذلك:

ألا يا لهف هندٍ إثر قوم ... هموا كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني أبيهم ... وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضاً ... ولو أدركته صفر الوطاب[1]

يعني: ببني أبيهم كنانة، فإن أسداً وكنانة ابني خزيمة هما أخوان، وقوله: ولو أدركته صفر/ الوطاب، قيل: كانوا قتلوه واستاقوا إبله، فصفرت وطابه من اللبن، أي: خلت. ج١/أ/٧٥

وقيل: كانوا قتلوه فخلا جلده، وهو وطابه، من دمه بقتله، فسار امرؤ القيس في آثار بني أسد، فأدركهم ظهراً وقد تقطعت خيله وهلكوا عطشاً، وبنو أسد نازلون على الماء، فقاتلهم حتى كثرت القتلى بينهم، وهربت بنو أسد، فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم، وقالوا: قد أصبت ثأرك، فقال: لا والله، فقالوا: بلى ولكنك رجل مشؤوم، وكرهوا قتلهم بني كنانة، فانصرفوا عنه، ومضى إلى أزد شنوءة يستنصرهم، فأبوا أن ينصروه؛ وقالوا/: إخواننا وجيراننا. فسار عنهم ونزل بقيل يدعى: مرثد الخير بن ذي جدن الحميري، وكان بينهما قرابة. فاستنصره على بني أسد، فأمده بخمسمائة رجل من حمير، ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس، وملك بعده رجل من حمير، يقال له: قرمل، فزود امرأ القيس، ثم سيّر معه ذلك الجيش، وتبعه شذاذ من العرب، واستأجر غيرهم من قبائل اليمن، فسار بهم إلى بني أسد، وظفر[1] بهم. ج١/ط/٣٠٧

ثم إنّ المنذر طلب امرأ القيس، ولجّ في طلبه، ووجّه الجيوش إليه، فلم يكن لامرىء القيس بهم طاقة، وتفرق عنه من كان معه من حمير وغيرهم، فنجا في جماعة من أهله، ونزل بالحارث بن شهاب اليربوعي، وهو أبو عتيبة بن الحارث، فأرسل إليه المنذر يتوعده بالقتال إن لم يسلمهم إليه، فسلمهم، ونجا امرؤ القيس [ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث، وابنته هند ابنة امرىء القيس وأدراعه وسلاحه وماله، فخرج ونزل على سعد بن الضباب الإيادي سيد قومه، فأجاره، ومدحه امرؤ القيس]، ثم تحول عنه ونزل على المعلى بن تيم الطائي، فأقام عنده واتخذ إبلاً هناك، فعدا قوم من جديلة، يقال لهم: بنو زيد عليها فأخذوها، فأعطاه بنو نبهان معزىً يحلبها، فقال:

(١) ذكره اليعقوبي في «تاريخه» (١/٢١٨)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩/ ٩١).

(1) في المخطوطة: فظفر.

إذا لـــم تـــكـــن إبـــلٌ فـــمـــعـــزىً كـــأن قـــرون جـــلّـــتـــهـــا الـــعـــصـــيّ[١]

الأبيات.

ثم رحل عنهم ونزل بعامر بن جوين، فأراد أن يغلب امرأ القيس على ماله وأهله، فعلم امرؤ القيس بذلك، فانتقل إلى رجل من بني ثُعل، يقال له: حارثة بن مر، فاستجاره فأجاره. فوقعت بين عامر بن جوين والثُعليّ حرب، وكانت[1] أمور كبيرة، فلما رأى امرؤ القيس أن الحرب قد وقعت بين طيء بسببه خرج من عندهم، فقصد السموأل بن عادياء اليهودي، فأكرمه وأنزله، فأقام عنده امرؤ القيس ما شاء الله، ثم طلب منه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ليوصله إلى قيصر، ففعل ذلك، وسار إلى الحارث وأودع أهله وأدراعه عند السموأل، فلما وصل إلى قيصر أكرمه، فبلغ ذلك بني أسد، فأرسلوا رجلاً منهم، يقال له: الطماح، كان امرؤ القيس قتل أخاً له، فوصل الأسدي، وقد/ سيّر قيصر مع امرىء القيس جيشاً كثيفاً، فيهم جماعة من أبناء الملوك. ج١/٣٠٨ط

فلما سار امرؤ القيس، قال الطماح لقيصر: إنّ امرأ القيس غويّ عاهر، وقد ذكر أنه كان يراسل ابنتك ويواصلها، وقال فيها أشعاراً أشهرها بها في العرب، فبعث إليه قيصر بحلة وشي منسوجة بالذهب، مسمومة، وكتب إليه: إني أرسلت إليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمةً لك فالبسها، واكتب إليّ بخبرك من منزلٍ منزل.

فلبسها امرؤ القيس وسُرَّ بذلك، فأسرع فيه[2] السم وسقط جلده، فلذلك سُمّي: ذا القروح، فقال امرؤ القيس في ذلك[3]:

لـقـد طـمـح الـطـمـاح مـن نـحـو أرضـه لـيـلـبـسـنـي مـمـا يـلـبـس أبـؤسـا
فـلـو أنـهـا نـفـس تـمـوت سـويـةً ولـكـنـهـا نـفـسٌ تـسـاقـط أنـفـسـا

فلما وصل إلى موضع من بلاد الروم، يقال له: أنقرة احتضر بها، فقال: رُبّ خطبة مُسْحنفره، وطعنة مُثْعنجرة[٢]، وجفنة مستحيرة، حلت بأرض أنقرة، ورأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم وقد دفنت بجنب عسيب، وهو جبل، فقال:

---

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩/ ٩٥).
(٢) مثعنجرة: السائلة.

---

(1) في المخطوطة: فكانت.
(2) في المخطوطة: إليه.
(3) في المخطوطة: ذلك شعراً.

أجارتنا إن الخطوب تنوب ... وإني مقيمٌ ما أقام عسيب
أجارتنا إنّا غريبان ههنا ... وكل غريبٍ للغريب نسيب[١]

ثم مات فدفن إلى جنب المرأة، فقبره هناك[٢].

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شمر الغساني إلى السموأل بن عادياء، وطالبه بأدراع امرىء القيس، وكانت مائة درع، وبما له عنده، فلم يعطه، فأخذ الحارث ابناً للسموأل، [فقال: إما أن تسلم الأدراع وإما قتلت ابنك. فأبى السموأل أن يسلم إليه شيئاً، فقتل ابنه، فقال السموأل] في ذلك:

وفيت بأدرع الكنديّ إني ... إذا ما ذم أقوامٌ وفيت
وأوصى عادياً يوماً بأن لا ... تهدم يا سموأل ما بنيت
بنى لي عادياً حصناً حصيناً ... وماءً كلما شئت استقيت

وقد ذكر الأعشى هذه الحادثة، فقال:

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به ... في جحفلٍ كسواد الليل جرار
إذا سامه خُطَّتي خسفٍ فقال له: ... قل ما تشاء فإني سامعٌ حار
فقال: غدرٌ وثكلٌ أنت بينهما ... فاختر فما فيهما حظٌ لمختار/ ج١/٣٠٩/ط
فشك غير طويلٍ ثم قال له: ... اقتل أسيرك إني مانعٌ جاري

وهي أكثر من هذا[٣].

يوم خزاز[1]

وكان من حديثه: أنّ ملكاً من ملوك اليمن كان في يديه أسارى من مضر وربيعة وقضاعة، فوفد عليه وفدٌ/ من وجوه بني معد، منهم: سدوس بن شيبان بن ذهل بن ج١/٧٥/ب

(١) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١/ ٥٣)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (١/ ٢٢٠).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩/ ٩٣)، (٩/ ١٠١).
(٣) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١/ ١٨٣)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٢٢/ ١١٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٧٥، ٧٦).

(1) في المخطوطة: ذكر يوم خزاز.

ثعلبة، وعوف بن محلم بن ذهل بن شيبان، وعوف بن عمرو بن جشم بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان، وجشم بن ذهل بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان، فلقيهم رجل من بهراء، يقال له: عبيد بن قراد، وكان في الأسارى، وكان شاعراً، فسألهم أن يدخلوه في عدة من يسألون فيه، فكلموا الملك فيه وفي الأسارى، فوهبهم لهم، فقال عبيد بن قراد البهراوي:

نفسي الفداء لعوف الفعال ... وعوف ولابن هلالٍ جُشم
تداركني بعد ما قد هويـ ... ـت مستمسكاً بعراقي الوذم
ولولا سدوس وقد شمرت ... بي الحرب زلت بنعلي القدم
ونادیت بهراء كي يسمعوا ... وليس بآذانهم من صمم
ج١ ٣١٠/ط ومن قبلها عصمت قاسطٌ ... معداً إذا ما عزيز أزم/

فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينةً، وقال للباقين: ائتوني برؤساء [قومكم] لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لي، وإلا قتلت أصحابكم. فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر، فبعث كُليب وائل إلى ربيعة فجمعهم، واجتمعت معد عليه، وهو أحد النفر الذين اجتمعت عليهم معد، على ما نذكره في مقتل كُليب. فلما اجتمعوا عليه سار بهم، وجعل على مقدمته السفاح التغلبي، وهو: سلمة بن خالد بن كعب بن زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حُبيب بن تغلب، وأمرهم أن يوقدوا على خزاز ناراً ليهتدوا بها، وخزاز: جبل بطخفة ما بين البصرة إلى مكة، وهو قريب من سالع، وهو جبل أيضاً، وقال له: إن غشيك العدوُّ فأوقد نارين، فبلغ مذحجاً اجتماع ربيعة ومسيرها، فأقبلوا بجموعهم واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا إليهم، فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا إلى ربيعة، ووصلت مذحج إلى خزاز ليلاً، فرفع السفاح نارين. فلما رأى كليب النارين أقبل إليهم بالجموع فصبحهم، فالتقوا بخزاز، فاقتتلوا قتالاً شديداً أكثروا فيه القتل، فانهزمت مذحج وانفضت جموعها، فقال السفاح في ذلك:

وليلة بت أوقد في خزاز ... هديت كتائباً متحيرات
ضللن من السهاد وكنّ لولا ... سهاد القوم أحسب هاديات[1]

وقال الفرزدق يخاطب جريراً ويهجوه[2]:

(١) انظر «أيام العرب» (١٠٩).
(٢) أنظر نقائض جرير و الفرزدق (ص: ٤٥٢).

لـولا فـوارس تـغـلـب ابـنـة وائـل [دخـل الـعـدوُ عـلـيـك كـلّ مـكـان]
ضـربـوا الـصـنـائـع والـمـلـوك وأوقـدوا نـاريـن أشـرفـتـا عـلـى الـنـيـران]

وقيل: إنه لم يعلم أحد من كان الرئيس يوم خزاز؛ لأن عمرو بن كلثوم، وهو ابن ابنة كليب، يقول:

ونـحـن غـداة أوقـد فـي خـزاز رفـدنـا فـوق رفـد الـرافـديـنـا

فلو كان جده الرئيس لذكره، ولم يفتخر بأنه رفد، ثم جعل من شهد خزازاً متساندين فقال:

فـكـنـا الأيـمـنـيـن[1] إذا الـتـقـيـنـا وكـان الأيـسـريـن[2] بـنـو أبـيـنـا
فـصـالـوا صـولـةً فـيـمـن يـلـيـهـم وصـلـنـا صـولـةً فـيـمـن يـلـيـنـا

فقالوا له: استأثرت على إخوتك، يعني: مضر، ولما ذكر جده في القصيدة قال:

ومـنـا قـبـلـه الـسـاعـي كـلـيـب فـأي الـمـجـد إلا قـد ولـيـنـا؟/ ج١/٣١١/ط

فلم يدع به الرياسة يوم خزاز، وهي أشرف ما كان يفتخر له به.

حبيب: بضم الحاء المهملة، وفتح الباء الموحدة، وسكون الياء تحتها نقطتان، وآخره باء أخرى موحدة.

ذكر مقتل كُلَيْب والأيام بين بكر وتغلب

وكان من حديث الحرب التي وقعت بين بكر وتغلب ابني وائل بن هنب بن أفصى بن دعميّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بسبب قتل كُليب، واسمه: وائل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حُبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، وإنما لقب: كليباً؛ لأنه كان إذا سار أخذ معه جرو كلب، فإذا مرّ بروضة أو موضع يعجبه ضربه، ثم ألقاه في ذلك المكان وهو يصيح ويعوي، فلا يسمع عواءه أحد إلا تجنبه ولم يقربه، وكان يقال له: كليب وائل، ثم اختصروا فقالوا: كليب، فغلب عليه[3].

---

(١) الأيمنين: المتقدمون.

(٢) الأيسرين: المتخلفون.

(٣) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٧٧)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/ ٣٩٨)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٣/ ٧١)، (٣/ ١٢٠)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ٣٤).

وكان لواء ربيعة بن نزار للأكبر فالأكبر من ولده، فكان[1] اللواء في عنزة بن أسد بن ربيعة، وكان سنتهم أنهم يوفرون لحاهم ويقصون شواربهم[2]، فلا يفعل ذلك من ربيعة إلا من يخالفهم ويريد حربهم، ثم تحول اللواء في عبد القيس بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

وكانت سنتهم إذا شتموا لطموا من شتمهم، وإذا لطموا قتلوا من لطمهم، ثم تحول اللواء في النمر بن قاسط بن هنب، وكان لهم غير سنة من تقدمهم، ثم تحول اللواء إلى بكر بن وائل، فساؤوا غيرهم في فرخ طائر، كانوا يوثقون الفرخ بقارعة الطريق، فإذا علم بمكانه لم يسلك، أحد ذلك الطريق، ويسلك من يريد/ الذهاب والمجيء [عن يمينه ويساره، ثم تحول اللواء إلى تغلب، فوليه وائل بن ربيعة، وكانت سنته ما ذكرناه من جرو الكلب]، ولم تجتمع معد إلا على ثلاثة نفر، وهم: عامر بن الظرب بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث، وهو: عدوان بن عمرو بن قيس عيلان، وهو الناس ابن مضر، [ـ بالنون ـ وهو أخو إلياس بن مضر]، وكان قائد معد حين تمذحجت مذحج وسارت إلى تهامة، وهي أول وقعة كانت بين تهامة واليمن.

ج١ / ١/٧٦

والثاني: ربيعة بن الحارث بن مرة بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن كلب، وكان قائد معد يوم السلان/ بين أهل اليمامة واليمن.

ج١ / ٣١٢/ط

والثالث: وائل بن ربيعة، وكان قائد معد يوم خزاز، ففض جموع اليمن وهزمهم، وجعلت له معد قسم الملك وتاجه وطاعته، وبقي زماناً من الدهر، ثم دخله زهوٌ شديد وبغى على قومه، حتى بلغ من بغيه أنه كان يحمي مواقع السحاب، فلا يرعى حماه وكان يقول: وحش أرض كذا في جواري، فلا يصاد، ولا يورد أحد مع إبله، ولا يوقد ناراً مع ناره، ولا يمر أحد بين [بيوته] ولا يحتبي في مجلسه.

وكانت بنو جشم، وبنو شيبان أخلاطاً في دار واحدة، إرادة الجماعة ومخافة الفرقة، وتزوج كليب جليلة بنت مرة بن شيبان بن ثعلبة، وهي أخت جساس بن مرة، وحمى كُليب أرضاً من العالية في أول الربيع، وكان لا يقربها إلا محارب، ثم إن رجلاً يقال له: سعد بن شميس بن طوق الجرمي نزل بالبسوس بنت منقذ التميمية، خالة جساس بن مرة.

---

(1) في المخطوطة: وكان.

(2) في المخطوطة: شاربهم.

وكان للجرمي ناقة اسمها: سراب، ترعى مع نوق جساس، وهي التي ضربت العرب بها المثل، فقالت: أشأم من سراب، وأشأم من البسوس[١].

فخرج كُليب يوماً يتعهد الإبل ومراعيها، فأتاها وتردد فيها، وكانت إبله وإبل جساس مختلطة، فنظر كُليب إلى سراب فأنكرها، فقال له جساس وهو معه: هذه ناقة جارنا الجرمي، فقال: لا تعد هذه الناقة إلى هذا الحمى، فقال جساس: لا ترعى إبلي مرعىً إلا وهذه معها، فقال كليب: لئن عادت لأضعن سهمي في ضرعها.

فقال جساس: لئن وضعت سهمك في ضرعها لأضعن سنان رمحي في لبتك! ثم تفرقا، وقال كليب لامرأته: أترين [أن] في العرب رجلاً مانعاً مني جاره؟ قالت: لا أعلمه إلا جساساً، فحدثها الحديث، وكان بعد ذلك إذا أراد الخروج إلى الحمى منعته وناشدته الله أن لا يقطع رحمه، وكانت تنهى أخاها جساساً أن يسرح إبله، ثم إن كليباً خرج إلى الحمى وجعل يتصفح الإبل، فرأى ناقة الجرمي فرمى ضرعها فأنفذه، فولت ولها عجيج حتى بركت بفناء صاحبها، فلما رأى ما بها صرخ بالذل، وسمعت البسوس صراخ جارها، فخرجت إليه، فلما رأت ما بناقته وضعت يدها على رأسها، ثم صاحت: واذلاه! وجساس يراها ويسمع، فخرج إليها، فقال لها: اسكتي ولا تراعي، وسكن الجرمي. وقال لهما: إني سأقتل جملاً أعظم من هذه الناقة، سأقتل غلالاً، [وكان غلال] فحل إبل كليب لم ير في زمانه مثله، وإنما أراد جساس بمقالته كليباً، وكان لكليب عين يسمع ما يقولون، فأعاد الكلام على كليب، فقال: لقد اقتصر من يمينه على غلال. ولم يزل جساس يطلب غرة كليب، فخرج كليب يوماً آمناً، فلما بعد عن البيوت/ ركب جساس فرسه وأخذ رمحه وأدرك كليباً، فوقف كليب، فقال له جساس: يا كليب الرمح وراءك! فقال: إن كنت صادقاً فأقبل إليّ من أمامي، ولم يلتفت إليه، فطعنه فأرداه عن فرسه، فقال: يا جساس، أغثني بشربة من ماء، فلم يأته بشيء، وقضى كليب نحبه، فأمر جساس رجلاً كان معه اسمه: عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان، فجعل عليه أحجاراً لئلا تأكله السباع، وفي ذلك يقول مهلهل بن ربيعة، أخو كليب:

ج١/٣١٣ط

قتيلٌ ما قتيل المرء عمروٍ ... وجساس بن مرة ذي صريم
أصاب فؤاده بأصم لدنٍ ... فلم يعطف هناك على حميم
فإن غداً وبعد غدٍ لرهنٌ ... لأمر ما يقام له عظيم

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ٣٥)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٣/ ٧١).

جسيماً ما بكيت به كليباً إذا ذكر الفعال من الجسيم
ج١/٣١٤/ط سأشرب كأسها صرفاً وأسقى بكأسٍ غير منطقة مليم[١]/

ولما قتل جساس كليباً انصرف على فرسه يركضه، وقد بدت ركبتاه، فلما نظر أبوه مرة إلى ذلك، قال: لقد أتاكم جساس بداهيةٍ، ما رأيته قط بادي الركبتين إلى اليوم! فلما وقف على أبيه قال: ما لك يا جساس؟ قال: طعنت طعنة يجتمع[1] [بنو وائل] غداً لها رقصاً، قال: ومن طعنت؟ لأمك الثكل! قال: قتلت كليباً، قال: أفعلت؟ قال: نعم، قال: بئس والله ما جئت به قومك! فقال جساس:

تأهب عنك أهبة ذي امتناع فإن الأمر جل عن التلاحي
فإني قد جنيت عليك حرباً تغص الشيخ بالماء القراح[٢]

ج١/٧٦/ب فلما سمع أبوه قوله خاف خذلان قومه لما كان من لائمته إياه، فقال يجيبه/ :

فإن تك قد جنيت عليّ حرباً تغص الشيخ بالماء القراح
ج١/٣١٥/ط جمعت بها يديك على كليبٍ فلا وكلُ ولا رثُّ السلاح/
سألبس ثوبها وأذود عني بها عار المذلة والفضاح

ثم إن مرة دعا قومه إلى نصرته، فأجابوه وجلوا الأسنة، وشحذوا السيوف، وقوَّموا الرماح، وتهيأوا للرحلة إلى جماعة قومهم، وكان همام بن مرة أخو جساس، ومهلهل أخو كليب في ذلك الوقت يشربان، فبعث جساس إلى همام جارية لهم تخبره الخبر، فانتهت إليهما وأشارت إلى همام، فقام إليها فأخبرته، فقال له مهلهل: ما قالت لك الجارية؟ وكان بينهما عهد أن لا يكتم أحدهما صاحبه شيئاً، فذكر له ما قالت الجارية، وأحبّ أن يعلمه ذلك في مداعبة وهزل، فقال له مهلهل: است أخيك أضيق من ذلك!، فأقبلا على شربهما، فقال له مهلهل: اشرب، فاليوم خمرٌ وغداً أمر؛ فشرب همام وهو حذر خائف، فلما سكر مهلهل عاد همام إلى أهله، فساروا من ساعتهم إلى جماعة قومهم، وظهر أمر كليب، فذهبوا إليه فدفنوه، فلما دفن شقت الجيوب وخمشت الوجوه، وخرجت[2] الأبكار

(١) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١/ ٢١٥)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٧٧)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (١/ ٢٨)، (٣/ ١٢٠).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ٣٩).

(1) في المخطوطة: لا يجتمع.
(2) في المخطوطة: خرج.

وذات الخدور العواتق إليه، وقمن للمأتم، فقال النساء لأخت كليب: أخرجي جليلة أخت جساس عنا، فإنَّ قيامها فيه شماتة وعار علينا، وكانت[1] امرأة كليب، كما ذكرنا، [فقالت لها أخت كليب: اخرجي عن مأتمنا فأنت أخت قاتلنا وشقيقة واترنا، فخرجت تجر عطافها، فلقيها أبوها مرّة، فقال لها: ما وراءك يا جليلة؟] فقالت: ثكل العدد، وحزن الأبد، وفقد خليل، وقتل أخ عن قليل، وبين هذين غرس الأحقاد، وتفتت الأكباد، فقال لها: أوَيكفُّ ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات؟ فقالت: أمنية مخدوعٍ ورب الكعبة! ألبدنٍ تدع لك تغلب دم ربها![1]

ولما رحلت جليلة قالت أخت كليب: رحلة المعتدي وفراق الشامت، ويل غداً لآل مرة من الكرة بعد الكرة، فبلغ قولها جليلة، فقالت: وكيف تشمت الحرة بهتك سترها وترقب وترها[2]؟! أسعد الله أختي ألا قالت: نفرة الحياء وخوف الأعداء! ثم أنشأت تقول:

يا ابنة الأقوام إن شئت فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا ما أنت تبيَّنت الذي ... يوجب اللوم فلومي واعذُلي
إن تكن أخت امرئٍ ليمت على ... شفقٍ منها عليه فافعلي
جلَّ عندي فعل جساسٍ فيا ... حسرتا فيما انجلت أو تنجلي
فعل جسّاسٍ على وجدي به ... قاطعٌ ظهري ومدنٍ أجلي
لو بعينٍ فقئت عينٌ سوى ... أختها فانفقأت لم أحفل/ ج١/٣١٦/ط
تحمل العين قذى العين كما ... تحمل الأمّ أذى ما تفتلي[3]
يا قتيلاً قوّض الدهر به ... سقف بيتيّ جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته ... وانثنى في هدم بيتي الأول
ورماني قتله من كثبٍ ... رِمية المُصمي به المستأصل
يا نسائي دونكنّ اليوم قد ... خصّني الدهر برزءٍ مُعضل
خصّني قتل كُليبٍ بلظىً ... من ورائي ولظىً مستقبل
ليس من يبكي لليومه كمن ... إنما يبكي ليومٍ مقبل[2]

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/٦٦).
(٢) وترها: الثأر.
(٣) تفتلي: تفطم عن الرضاع.

(1) في المخطوطة: فكانت.
(2) في المخطوطة: كل.

يشتفي المدرك بالثأر وفي ... دركي ثأري ثكل المثكل[١]
ليته كان دماً فاحتلبوا ... درراً منه دمي من أكحل[٢]
إنني قاتلةٌ مقتولةٌ ... ولعل الله أن يرتاح لي[٣]

وأما مهلهل، واسمه: عديّ، وقيل: امرؤ القيس، وهو خال امرىء القيس بن حجر الكندي، وإنما لقب: مهلهلاً؛ لأنه أول من هلهل الشعر، وقصد القصائد، وأول من كذب في شعره، فإنه لما صحا لم يرعه إلا النساء يصرخن: ألا [إن] كُليباً[1] قتل، فقال، وهو أول شعر قيل في هذه الحادثة:

كنا نغار على العواتق أن ترى ... بالأمس خارجةً عن الأوطان
فخرجن حين ثوى كليبٌ حسراً ... مستيقناتٍ بعده بهوان
فترى الكواعب كالظباء عواطلاً ... إذ حان مصرعه من الأكفان
يخمشن من أدم[2] الوجوه حواسراً ... من بعده ويعدن بالأزمان
متسلباتٍ نكدهنّ وقد ورى ... أجوافهنّ بحرقة ووراني
ويقلن من للمستضيف إذا دعا ... أم من لخضب عوالي المرّان؟
أم لا تسارِ بالجزور إذا غدا ... ريحٌ يقطع معقد الأشطان
أم من لإسباق الديات وجمعها ... ولفادحات نوائب الحدثان؟
كان الذخيرة للزمان فقد أتى ... فقدانه وأخل ركن مكاني
ج١/٣١٧ط يا لهف نفسي من زمانٍ فاجع ... ألقى عليّ بكلكلٍ وجران/
بمصيبة لا تُستقال جليلةً ... غلبت عزاء القوم والنسوان
هدت حصوناً كنّ قبل ملاوذاً ... لذوي الكهول معاً وللشبان
ج١/٧٧أ أضحت وأضحى سورها من بعده ... متهدِّم الأركان والبنيان
فابكين سيد قومه واندبنه/ ... شدت عليه قباطي الأكفان
وابكين للأيتام لما أقحطوا ... وابكين عند تخاذل الجيران
وابكين مصرع جِيدهِ متزمِّلاً ... بدمائه فلذاك ما أبكاني

(١) المثكل: التي لازمها الحزن.
(٢) أكحل: عرق في اليد.
(٣) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/٦٩).

(1) في المخطوطة: كليب.
(2) في المخطوطة: له.

فلأتركن به قبائل تغلبٍ قتلى بكل قرارة ومكان
قتلى تعاورها النسور أكفّها ينهشنها وحواجل الغربان

ثم انطلق إلى المكان الذي قتل فيه كليب فرأى دمه، وأتى قبره فوقف عليه، ثم قال:

إن تحت التراب حزماً وعزماً وخصيماً ألدَّ ذا معلاق
حيةً في الوجار أربد لا ينـ ـفع منه السليم نفث الراقي[1]

ثم جز شعره، وقصر ثوبه، وهجر النساء، وترك الغزل، وحرّم القمار والشراب، وجمع إليه قومه، وأرسل رجالاً منهم إلى بني شيبان، فأتوا مرة بن ذهل بن شيبان وهو في نادي قومه، فقالوا له: إنكم أتيتم عظيماً بقتلكم كليباً بناقة، وقطعتم الرحم، وانتهكتم الحرمة، وإنا نعرض عليك خلالاً أربعاً، لكم فيها مخرج، ولنا فيه مقنع، إما أن تحيي لنا كليباً، أو تدفع إلينا قاتله جساساً فنقتله به، أو هماماً فإنه كفء له، أو تمكننا من نفسك، فإن فيك وفاء لدمه، فقال لهم: أما إحيائي كليباً فلست قادراً عليه، وأما دفعي جساساً إليكم فإنه غلام طعن طعنة على عجل، وركب فرسه فلا أدري أي بلاد قصد، وأما همام فإنه [أبو] عشرة وأخو عشرة وعم عشرة، كلهم فرسان قومهم، فلن يسلموه بجريرة غيره، وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل جولة، فأكون أول قتيل، فما أتعجل الموت، ولكن لكم عندي خصلتان: أما إحداهما: فهؤلاء أبنائي الباقون، فخذوا أيهم شئتم فاقتلوه بصاحبكم، وأما الأخرى: فإن أدفع إليكم ألف ناقة سود الحدق حمر الوبر، فغضب القوم، وقالوا: قد أسأت ببذل هؤلاء وتسومنا اللبن من دم كليب؟ ونشبت الحرب بينهم. ولحقت جليلة زوجة كليب بأبيها وقومها، واعتزلت قبائل بكر الحرب، وكرهوا مساعدة بني شيبان على القتال، وأعظموا قتل كليب فتحولت لجيم ويشكر، وكف الحارث بن عباد عن/ نصرهم ومعه أهل بيته، وقال مهلهل عدة قصائد يرثي كليباً منها:

ج١/٣١٨/ط

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها إذ أنت خليتها فيمن يخليها
كليب أي فتى عزٍ ومكرمة تحت السقائف إذ يعلوك سافيها؟

نعى النعاة كليباً لي فقلت لهم: مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها

الحزم والعزم كانا من صنيعته ما كل آلائه يا قوم أحصيها
القائد الخيل تردي في أعنتها رهواً إذا الخيل لجت في تعاديها

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ٦٠).

من خيل تغلب ما تلقى أسنتها إلا وقد خضبوها من أعاديها
يُهزهزون من الخطيّ مدمجةً صمّاً أنابيبها زُرقاً عواليها
ليت السماء على من تحتها وقعت وانشقت الأرض فانجابت بمن فيها
لا أصلح الله منا من يصالحكم ما لاحت الشمس في أعلى مجاريها[١]

فالتقوا أول قتال كان بينهم، في قول يوم عنيزة[٢]، وهي عند فلج، وكانا[1] على السواء، فقال مهلهل:

ج١/٣١٩/ط كأنا غدوةً وبني أبينا بجنب عنيزةٍ رحيا مدير/
ولولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور[٣]

فتفرقوا ثم بقوا زماناً، ثم إنهم التقوا بماء، يقال له: النّهي، كانت بنو شيبان نازلة عليه، ويروى أنها أول وقعة كانت بينهم، وكان رئيس تغلب مهلهل، ورئيس شيبان الحارث بن مرة، وكانت الدائرة لبني تغلب، وكانت الشوكة في بني شيبان، واستحرّ القتال فيهم، إلا أنه لم يقتل ذلك اليوم أحد من بني مرة[٤].

ثم التقوا بالذئاب، وهي أعظم وقعة كانت لهم، فظفرت بنو تغلب، وقتلت بكراً مقتلة عظيمة، وقتل فيها شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان، وهو جد الحوفزان وجد معن بن زائدة، وقتل الحارث بن مرة بن ذهل بن شيبان، وقتل من بني ذهل بن ثعلبة عمرو بن سدوس بن شيبان بن ذهل وغيرهم من رؤوساء بكر[٥].

ثم التقوا يوم واردات فاقتتلوا قتالاً شديداً، فظفرت تغلب أيضاً، وكثر القتل في بكر، فقتل همام بن مرة بن ذهل بن شيبان أخو جساس لأبيه وأمه، فمر مهلهل، فلما رآه

(١) ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ٢١٧).
(٢) يوم عنيزة ذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٥/ ٤٠١)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٧٧).
(٣) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ٦٥)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ٢٢٠).
(٤) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/ ٤٠٠)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ٢١٨)، وذكره أبو الفداءفي «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٧٧).
(٥) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/ ٤٠١)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ٢١٨)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٧٧).

(1) في المخطوطة: فكانا.

قتيلاً قال: والله ما قتل بعد كليب أعز عليّ منك، وتالله لا تجتمع بكر بعدكما على خير أبداً. وقيل: إنما قتل يوم القصيبات، وقيل: يوم قضة، قتله ناشرة، وكان همام قد التقطه ورباه وسماه ناشرة، وكان عنده. فلما شب علم أنه تغلبي، فلما كان هذا اليوم جعل همام يقاتل، فإذا عطش جاء إلى قربة له يشرب منها، فتغفله ناشرة فقتله، ولحق بقومه تغلب، وكاد[1] جساس يؤخذ فسلم، فقال مهلهل/ : ج١/ط/٣٢٠

لو أن خيلي أدركتك وجدتهم/ مثل الليوث بستر غبّ عرين ج١/ب/٧٧

ويقول فيها:

ولأوردن الخيل بطن أراكة ولأقضين بفعل ذاك ديوني
ولأقتلن جحاجحاً من بكركم ولأبكين بها جفون عيون
حتى تظل الحاملات مخافةً من وقعنا يقذفن كل جنين[1]

وقيل في ترتيب الأيام غير ما ذكرنا، وسنذكره إن شاء الله تعالى، وكان أبو نويرة التغلبي وغيره طلائع قومه، وكان جساس وغيره طلائع قومهم، والتقى بعض الليالي جساس وأبو نويرة، فقال له أبو نويرة: اختر إما الصراع، أو الطعان، أو المسايفة. فاختار جساس الصراع، فاصطرعا وأبطأ كل واحد منهما على أصحاب حيه، وطلبوهما فأصابوهما وهما يصطرعان، وقد كاد جساس يصرعه، ففرّقوا بينهما، وجعلت تغلب تطلب جساساً، أشد الطلب، فقال له أبوه مرة: الحق بأخوالك بالشام، فامتنع، فألحّ عليه أبوه فسيَّره سراً في خمسة نفر، وبلغ الخبر إلى مهلهل، فندب أبا نويرة، ومعه ثلاثون رجلاً من شجعان أصحابه، فساروا مجدين، فأدركوا جساساً، فقاتلهم، فقتل أبو نويرة وأصحابه، ولم يبق منهم غير رجلين، وجرح جساس جرحاً شديداً مات منه، وقتل أصحابه فلم يسلم غير رجلين أيضاً، فعاد كل واحد من السالمين إلى أصحابه، فلما سمع مرة قتل ابنه جساس، قال: إنما يحزنني إن كان لم يقتل منهم أحداً، فقيل له: إنه قتل بيده أبا نويرة رئيس القوم، وقتل معه خمسة عشر رجلاً، ما شركه منا أحد في قتلهم، وقتلنا نحن الباقين، فقال: ذلك مما يسكن قلبي عن جساس.

وقيل: إن جساساً آخر من قتل في حرب بكر وتغلب، وكان سبب قتله: أن أخته

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ٤٧).

(1) في المخطوطة: كان.

جليلة كانت تحت كليب وائل. [فلما قتل كليب] عادت إلى أبيها وهي حامل، ووقعت الحرب، وكان من الفريقين ما كان، ثم عادوا إلى الموادعة بعد ما كادت الفئتان تتفانى، فولدت أخت جساس غلاماً، فسمته: هجرساً، ورباه جساس، وكان لا يعرف أباً غيره، فزوجه ابنته[١].

فوقع بين هجرس وبين رجل من بكر كلام، فقال له البكري: ما أنت بمنتهٍ حتى نلحقك بأبيك. فأمسك عنه، ودخل إلى أمه كئيباً حزيناً، فأخبرها الخبر، فلما نام إلى جنب امرأته رأت من همه وفكره ما أنكرته، فقصت على أبيها جساس قصته، فقال/: ثائر ورب الكعبة! وبات على مثل الرضف حتى أصبح، فأحضر الهجرس، فقال له: إنما أنت ولدي، وأنت مني بالمكان الذي تعلم، وزوجتك ابنتي، وقد كانت الحرب في أبيك زماناً طويلاً، وقد اصطلحنا وتحاجزنا، وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح، وأن تنطلق معي حتى نأخذ عليك مثل ما أُخذ علينا، قال الهجرس: أنا فاعلٌ. فحمله جساس على فرس فركبه ولبس لامته، وقال: مثلي لا يأتي أهله بغير سلاحه، فخرجا حتى أتيا جماعة من قومهما، فقص عليهم جساس القصة، وأعلمهم أن الهجرس يدخل في الذي دخل فيه جماعتهم، وقد حضر ليعقد ما عقدتم، فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ثم، قال: وفرسي وأذنيه، ورمحي ونصليه، وسيفي وغراريه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه، ثم طعن جساساً فقتله، ولحق بقومه، وكان آخر قتيل في بكر. والأول أكثر.

ج١/٣٢١/ط

ونرجع إلى سياقة الحديث، فلما قتل جساس أرسل أبوه مرة إلى مهلهل: إنك قد أدركت ثأرك وقتلت جساساً، فاكفف عن الحرب ودع اللجاج والإسراف، وأصلح ذات البين، فهو أصلح للحيين وأنكأ لعدوهم، فلم يجب إلى ذلك، وكان الحارث بن عُباد قد اعتزل الحرب، فلم يشهدها، فلما قتل جساس وهمام ابنا مرة حمل ابنه بجيراً، وهو ابن عمرو بن عُباد أخي الحارث بن عباد، فلما حمله على الناقة كتب معه إلى مهلهل: إنك قد أسرفت في القتل، وأدركت ثأرك سوى ما قتلت من بكر، وقد أرسلت ابني إليك، فإما قتلته بأخيك وأصلحت بين الحيين، وإما أطلقته وأصلحت ذات البين، فقد مضى من الحيين في هذه الحروب من كان بقاؤه خيراً لنا ولكم، فلما وقف على كتابه أخذ بجيراً فقتله، وقال: بؤ بشسع نعل كليب[٢].

(١) ذكره ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» (ص: ٣٠٥).

(٢) ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ٢٤١).

[فلما سمع أبوه بقتله ظن أنه قد قتله بأخيه ليصلح بين الحيين، فقال: نِعم القتيل قتيلاً أصلح من ابني وائل! فقيل: إنه قال: بُؤ بشسع نعل كليب]، فغضب عند ذلك الحارث بن عباد، وقال:

قرّبا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال
قرّبا مربط النعامة مني ... شارب رأسي وأنكرتني رجالي
لم أكن من جُناتها علم الله ... وإني بحرّها اليوم صالي[1]

فأتوه بفرسه النعامة، ولم يكن في زمانها مثلها، فركبها، وولي أمر بكر وشهد حربهم، وكان أول يوم شهده يوم قضة، وهو يوم تحلاق اللّمم، وإنما قيل له: تحلاق اللّمم؛ لأن/ بكراً حلقوا رؤوسهم ليعرف بعضهم بعضاً، إلا جحدر بن ضبيعة بن قيس أبو المسامعة، فقال لهم: أنا قصير فلا تشينوني، وأنا أشتري لمّتي منكم/ بأول فارس يطلع عليكم. فطلع ابن عناق، فشد عليه فقتله، وكان يرتجز ذلك اليوم، ويقول: ج١/٣٢٢ط ج١/٧٨أ

ردوا عليّ الخيل إن ألمت ... إن لم أقاتلهم فجُزوا لمتي[2]

وقاتل يومئذٍ الحارث بن عباد قتالاً شديداً، فقتل في تغلب مقتلة عظيمة، وفيه يقول طرَفة:

سائلوا عنا الذي يعرفنا ... بقوانا يوم تحلاق اللِّمم
يوم تبدي البيض عن أسوقها ... وتلف[3] الخيل أفواج النَّعم[4]

وفي هذا اليوم أسر الحارث بن عُباد مهلهلاً، واسمه: عدي، وهو لا يعرفه، فقال له: دلني على عدي وأنا أخلي عنك، فقال له المهلهل: عليك عهد الله بذلك إن دللتك عليه؟ قال: نعم، قال: فأنا عدي، فجز ناصيته وتركه، وقال في ذلك:

لهف نفسي على عدي ولم أعـ ... رف عدياً إذ[1] أمكنتني اليدان[5]

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ٥٣).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ٤٩).
(٣) تلف: تجمع.
(٤) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ٥٠).
(٥) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ٥٤).

(1) في المخطوطة: إن.

وكانت الأيام التي اشتدت فيها الحرب بين الطائفتين خمسة أيام: يوم عنيزة[1] تكافأوا فيه وتناصفوا، ثم اليوم الثاني، يوم واردات، كان لتغلب على بكر، ، ثم اليوم الثالث الحنو، كان لبكر على تغلب، ثم اليوم الرابع يوم القصيبات، أصيب بكر حتى ظنوا أنهم لن يستقيلوا، ثم اليوم الخامس يوم قضة، وهو يوم التحالق، وشهده الحارث بن عباد، ثم كان بعد ذلك أيام دون هذه، منها: يوم النقية، ويوم الفصيل لبكر على تغلب، ثم لم يكن بينهما مزاحفة إنما كان مغاورات، ودامت الحرب بينهما أربعين سنة.

ثم إن مهلهلاً قال لقومه: قد رأيت أن تبقوا على قومكم فإنهم يحبون صلاحكم، وقد أتت على حربكم أربعون[2] سنة، وما لمتكم، على ما كان من طلبكم بوتركم، فلو مرت هذه السنون في رفاهية عيش لكانت تمل من طولها، فكيف وقد فني الحيان، وثكلت الأمهات، ويتم الأولاد، ونائحة لا تزال تصرخ في النواحي، ودموع لا ترقأ، وأجسادٌ[3] لا تدفن، وسيوف مشهورة، ورماح مشرعة! وإن القوم سيرجعون إليكم غداً بمودتهم ومواصلتهم، وتتعطف الأرحام حتى تتواسوا في قتال القتل، فكان كما قال، ثم قال/ مهلهل: ج١/٣٢٣ط
أما أنا فما تطيب نفسي أن أقيم فيكم، ولا أستطيع أن أنظر إلى قاتل كليب، وأخاف أن أحملكم على الاستئصال، وأنا سائر إلى اليمن، وفارقهم وسار إلى اليمن، ونزل في جنب، وهي حي من مذحج، فخطبوا إليه ابنته، فمنعهم، فأجبروه على تزويجها وساقوا إليه صداقها جلوداً من أدم، فقال في ذلك:

أعزز على تغلب بما لقيت ... أخت بني الأكرمين من جُشم
أنكحها فقدها الأراقم في[4] ... جنبٍ وكان الحباء من أدم
لو بأبانَيْن[1] جاء يخطبها ... ضرج ما أنف خاطب بدم[2]

الأراقم: بطن من جُشم بن تغلب، يعني: حيث فقدت الأراقم، وهم عشيرتها، تزوجها رجل من جنب بأدم، ثم إنَّ مهلهلاً عاد إلى ديار قومه، فأخذه عمرو بن مالك بن ضبيعة البكري أسيراً بنواحي هجر، فأحسن إساره، فمر عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من

(١) جبلان أحدهما لبني فزارة وهو: أبان الأبيض، والآخر: أسود لبني أسد. أنظر لسان العرب (١/ ٥٣).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ٥٥).

(1) في المخطوطة: عنترة.
(2) في المخطوطة: أربعين.
(3) في المخطوطة: الأجساد.
(4) في المخطوطة: من.

هجر، وكان صديقاً لمهلهل، فأهدى إليه وهو أسير زقاً من خمر، فاجتمع إليه بنو مالك، فنحروا عنده بكراً، وشربوا عند مهلهل في بيته الذي أفرد له عمرو. فلما أخذ فيهم الشراب تغنى مهلهل بما كان يقوله من الشعر وينوح به على أخيه كليب، فسمع [منه] عمرو ذلك، فقال: إنه لريان، والله لا يشرب عندي ماء حتى يرد زبيب، وهو فحل كان له، لا يرد إلا خمساً في حمارّة القيظ، فطلب بنو مالك زبيباً، وهم حراصٌ على أن لا يهلك مهلهل، فلم يقدروا عليه حتى مات مهلهل عطشاً، وقيل: إن ابنة خال مهلهل، وهي ابنة المجلل التغلبي، كانت امرأة عمرو، وأرادت أن تأتي مهلهلاً وهو أسير، فقال يذكرها:

طفلةٌ ما ابنة المجلل بيضا ... ء لعوب لذيذةٌ في العناق[1]

فاذهبي ما إليك غير بعيدٍ ... لا يؤاتي العناق من في الوثاق

ضربت صدرها إليّ وقالت: ... يا عدياً لقد وقتك الأواقي[2]

وهي أبيات ذوات عدد. فنقل شعره إلى عمرو بن مالك، فحلف عمرو أن لا يسقيه الماء حتى يرد زبيب، فسأله الناس أن يورد زبيباً قبل وروده، ففعل وأورده وسقاه حتى يتحلل من يمينه، ثم إنه سقي مهلهلاً من ماء هناك هو أوخم المياه، فمات مهلهل.

عباد: بضم العين، وفتح الباء الموحدة وتخفيفها/ .

ج١/٣٢٤/ط

ذكر الحرب بين الحارث الأعرج وبني تغلب

قال أبو عبيدة: إنّ بكراً وتغلب [ابني وائل] اجتمعت للمنذر بن ماء السماء، وذلك بعد حربهم، وكان الذي أصلح بينهم قيس بن شراحيل بن مرة بن همام، فغزا بهم المنذر بني آكل المرار، وجعل على بني بكر وتغلب ابنه عمرو بن هند، وقال: اغز أخوالك فغزاهم [1]فاقتتلوا، فانهزم[1] بنو آكل المرار [2]وأسروا[2]، وجاؤوا بهم إلى المنذر فقتلهم، ثم انتقضت تغلب على المنذر ولحقت بالشام،/ [ونحن نذكر سبب ذلك في أخبار شيبان إن شاء الله].

ج١/٧٨/ب

وعادت الحرب بينهم وبين بكر، فخرج ملك غسان بالشام، وهو الحارث بن أبي

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/٥٦).

(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٥/٥٤).

(1-1) في المخطوطة: فإنهم.

(2-2) في المخطوطة: المرار واجتمع معهم وأسروا بنو أكل المرار.

شمر الغساني، فمر بأفاريق من تغلب، فلم يستقبلوه، وركب عمرو بن كلثوم [التغلبي]، فلقيه، فقال له: ما منع قومك أن يتلقوني؟ فقال: لم يعلموا بمرورك، فقال: لئن رجعت لأغزونهم غزوة تتركهم أيقاظاً لقدومي، فقال عمرو: ما استيقظ قومٌ قط إلا نبُل رأيهم وعزت جماعتهم، فلا توقظن نائمهم، فقال: كأنك تتوعدني [بهم]، أما والله لتعلمن إذا نالت غطاريف غسان الخيل في دياركم، أن أيقاظ قومك سينامون نومة لا حلم فيها، تجتث أصولهم وتنفى فلهُم إلى اليابس الجدد، والنازح الثمد[١].

ثم رجع[1] عمرو بن كلثوم [عنه، وجمع] قومه، وقال:

ألا فاعلم أبيت اللعن أنّا ... أبيت اللعن نأبى ما تريد
[2]تعلم أن[2] محملنا ثقيلٌ ... وأن دبار كبتنا شديد
وأنّا ليس حيٌ من معدٍ ... يقاومنا إذا لبس الحديد[3][٢]

[4]فلما عاد الحارث الأعرج غزا بني تغلب[4]، فاقتتلوا واشتد القتال بينهم، ثم انهزم الحارث وبنو غسان، وقتل أخو الحارث في عدد كبير، فقال عمرو بن كلثوم:

هلا عطفت على أخيك إذا دعا ... بالشكل ويل أبيك يا ابن أبي شمر
فذق الذي جشمت نفسك واعترف ... فيها أخاك وعامر بن أبي حجر

يوم عين أباغ

وهو بين المنذر بن ماء السماء وبين الحارث [بن] الأعرج[5] أبي شمر جبلة[٣].

وقيل: أبو شمر [عمرو] بن جبلة [بن الحارث] بن حجر بن النعمان بن الحارث الأيهم بن الحارث بن مارية الغساني، وقيل: في نسبه غير هذا، وقيل: هو أزدي تغلب على غسان، والأول أكثر وأصح، وهو الذي طلب أدراع امرىء القيس من السموأل [بن

(١) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١١/ ٥٨).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١١/ ٥٨).
(٣) ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ٢٦٠)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٨٠)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/ ٤٣٠).

(1) في المخطوطة: جمع.
(2-2) في المخطوطة: أن تعلم أن.
(3) في المخطوطة: الحرير.
(4-4) في المخطوطة: معه الحرث بن تغلب.
(5) في المخطوطة: الأعرج وهو الحارث بن.

ج١/٣٢٥/ط

عادياء]، وقتل ابنه، وقيل: غيره، والله أعلم/.

وسبب ذلك: أن المنذر بن ماء السماء ملك العرب سار من الحيرة في معد كلها حتى نزل بعين أباغ بذات الخيار، وأرسل إلى الحارث الأعرج بن جبلة بن الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو، مزيقياء بن عامر الغساني ملك العرب بالشام، إما أن تعطيني الفدية فأنصرف عنك بجنودي، وإما أن تأذن بحرب، فأرسل إليها الحارث: انظرنا ننظر في أمرنا، فجمع[1] عساكره وسار نحو المنذر، وأرسل إليه، يقول له: إنا شيخان فلا تهلك جنودي وجنودك، [2]ولكن يخرج رجل من ولدي ويخرج رجل من ولدك[2] فمن قتل خرج عوضه آخر، وإذا فني أولادنا خرجت أنا إليك، فمن قتل صاحبه ذهب بالملك. فتعاهدا على ذلك.

فعمد المنذر إلى رجل من شجعان أصحابه، فأمره أن يخرج فيقف[3] بين الصفين ويظهر أنه ابن المنذر، فلما خرج أخرج إليه الحارث ابنه أبا كرب، فلما رآه رجع إلى أبيه، وقال: إن هذا ليس بابن المنذر إنما هو عبده أو بعض شجعان أصحابه، فقال: يا بني أجزعت من الموت؟ ما كان الشيخ ليغدر. فعاد إليه وقاتله، فقتله الفارس وألقى رأسه بين يدي المنذر، وعاد، فأمر الحارث ابناً له آخر بقتاله والطلب بثأر أخيه، فخرج إليه، فلما واقفه رجع [إلى أبيه]؛ وقال: يا أبت هذا والله عبد المنذر، فقال: يا بني ما كان [الشيخ] ليغدر. فعاد إليه فشدّ عليه فقتله، فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي، وكانت أمه غسانية، وهو مع المنذر، فقال: أيها الملك، إن الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام، وقد غدرت بابن عمك دفعتين. فغضب المنذر وأمر بإخراجه، فلحق بعسكر الحارث فأخبره، فقال له: سل حاجتك، فقال [له]: حلتك وخلتك، فلما كان الغد عبى الحارث أصحابه وحرضهم، وكان في أربعين ألفاً، واصطفوا للقتال، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل المنذر وهزمت جيوشه[4]، فأمر الحارث بابنيه القتيلين، فحملا على بعير بمنزلة العدلين، وجعل المنذر فوقهما [فرداً] وقال: يا لعلاوةٍ دون العدلين! فذهبت مثلاً.

وسار إلى الحيرة فأنهبها وأحرقها، ودفن ابنيه بها، وبنى الغَرِيّيْنِ عليهما، في قول بعضهم، وفي ذلك اليوم يقول ابن الرعلاء الضبابي:

كم تركنا بالعين عين أباغ ... من ملوكٍ وسوقةٍ أكفاء
أمطرتهم سحائب الموت تترى ... إن في الموت راحة الأشقياء

(1) في المخطوطة: جمع.
(2) في المخطوطة: ورجل يخرج رجل من ولدك.
(3) في المخطوطة: ويقف.
(4) في المخطوطة: جنوده.

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميِّت ميت الأحياء

يوم مرج حليمة وقتل المنذر بن المنذر بن ماء السماء

لما قتل المنذر بن ماء السماء، على ما تقدم، ملك بعده ابنه المنذر وتلقب[1]: الأسود، فلما/ استقر وثبت قدمه جمع عساكره، وسار إلى الحارث الأعرج طالباً بثأر أبيه عنده، وبعث إليه: إنني قد أعددت لك الكهول، على الفحول؛ فأجابه الحارث: قد أعددت لك المرد على الجرد، فسار المنذر حتى نزل بمرج حليمة، فتركه من به من غسان للأسود./ وإنما سمي مرج حليمة: بحليمة ابنة[2] الحارث الغساني، وسنذكر خبرها عند الفراغ من هذا اليوم.

ج١/٣٢٦ط

ج١/٧٩أ

ثم إن الحارث سار فنزل بالمرج أيضاً، فأمر أهل القرى التي في المرج أن يصنعوا الطعام لعسكره، ففعلوا ذلك وحملوه في الجفان، وتركوه في العسكر، فكان الرجل يقاتل، فإذا أراد الطعام جاء إلى تلك الجفان فأكل منها. فأقامت الحرب بين الأسود والحارث أياماً، ينتصف بعضهم من بعض.

فلما رأى الحارث ذلك قعد في قصره، ودعا ابنته هنداً وأمرها، فاتخذت طيباً كثيراً في الجفان وطيبت به أصحابه، ثم نادى: يا فتيان غسان من قتل ملك الحيرة زوجته ابنتي هند، فقال لبيد بن عمرو الغساني لأبيه: يا أبت أنا قاتل ملك الحيرة، أو مقتول دونه لا محالة، ولست أرضى فرسي، فأعطني فرسك الزيتية. فأعطاه فرسه؛ فلما زحف الناس واقتتلوا ساعةً شد لبيد على الأسود فضربه ضربة فألقاه عن فرسه، وانهزم أصحابه في كل وجه، ونزل فاحتز رأسه وأقبل به إلى الحارث وهو على قصره ينظر إليهم، فألقى الرأس بين يديه. فقال له الحارث: شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها، فقال: بل أنصرف فأواسي أصحابي بنفسي، فإذا انصرف الناس انصرفت. فرجع فصادف [3]أخا الأسود[3] قد رجع إليه الناس وهو يقاتل، وقد اشتدت نكايته، فتقدم لبيد فقاتل فقتل، ولم يقتل في هذه الحروب بعد تلك الهزيمة غيره، وانهزمت لخم هزيمةً ثانيةً، وقتلوا في كل وجه، وانصرفت غسان بأحسن ظفر، وذكر أن الغبار في هذا اليوم اشتد وكثير حتى ستر[4] الشمس، و[حتى] ظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر؛ لأن الأسود سار بعرب العراق أجمع،

(1) في المخطوطة: تلقبت.
(2) في المخطوطة: بن.
(3-3) في المخطوطة: أخاه.
(4) في المخطوطة: سترت.

وسار الحارث بعرب الشام أجمع، وهذا اليوم من أشهر أيام العرب[١]، وقد فخر به بعض شعراء غسان فقال:

يـوم وادي حـلـيـمـةٍ وازدلـفـنـا ... بـالـعـنـاجـيـج والـرمـاح الـظـمـاء
إذ شـحـنـا أكـفّـنـا مـن رقـاقٍ ... رق مـن وقـعـهـا سـنـا الـسـحـنـاء/ ج١ ٣٢٧/ط
وأتـت هـنـد بـالـخـلـوق إلـى مَـن ... كـان ذا نـجـدةٍ وفـضـل غـنـاء
ونـصـبـنـا الـجـفـان فـي سـاحـة الـمـر ... ج فـمـلـئـنـا إلـى جـفـانٍ مـلاء[1]

وقيل في قتله: غير ما تقدم، ونحن نذكره، قال بعض العلماء: وكان سببه: أن الحارث بن أبي شمر جبلة بن الحارث الأعرج الغساني خطب إلى المنذر بن [المنذر] اللخمي ابنته، وقصد انقطاع الحرب بين لخم وغسان، فزوجه المنذر ابنته هنداً، وكانت لا تريد الرجال، فصنعت[2] بجلدها شبيهاً بالبرص، [و] قالت لأبيها: أنا على هذه الحالة وتهديني لملك غسان؟ فندم على تزويجها فأمسكها، ثم إن الحارث أرسل يطلبها فمنعها أبوها، واعتل عليه، ثم إن المنذر خرج غازياً، فبعث الحارث [بن أبي شمر جيشاً] إلى الحيرة، فانتهبها وأحرقها، فانصرف المنذر من غزاته [3]لما بلغه من[3] الخبر، فسار يريد غسان، وبلغ الخبر الحارث، فجمع أصحابه وقومه فسار بهم، فتوافقوا بعين أباغ، فاصطفوا للقتال، فاقتتلوا واشتد الأمر بين الطائفتين، فحملت ميمنة المنذر على ميسرة الحارث، وفيها ابنه فقتلوه، وانهزمت الميسرة، وحملت ميمنة الحارث على ميسرة المنذر، فانهزم من بها وقتل مقدمها فروة بن مسعود بن عمرو بن أبي رُبيعة بن ذهل بن شيبان، وحملت غسان من القلب على المنذر فقتلوه، وانهزم أصحابه في كل وجه، فقتل منهم بشر كثير، وأسر خلقٌ كثير، منهم من بني تميم، ثم من بني حنظلة مائة أسير، منهم: شأس بن عبدة، فوفد أخوه علقمة بن عبدة الشاعر على الحارث يطلب إليه أن يطلق أخاه، ومدحه بقصيدته المشهورة التي أولها:

طـحـا بـك قـلـبٌ فـي الـحـسـان طـروب ... بـعـيـد الـشـبـاب عـصـرحـان مـشـيـب
تـكـلـفـنـي لـيـلـى وقـد شـط أهـلـهـا[4] ... وعـادت[5] عـوادٍ بـيـنـنـا وخـطـوب

[يقول فيها]:

---

(١) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٨٠)، وأنظر «المفصل في تاريخ العرب» (٣/ ٢٤٠).

---

(1) في المخطوطة: الملاء.
(2) في المخطوطة: صنعت.
(3-3) في المخطوطة: ثم لما بلغه.
(4) في المخطوطة: وليها.
(5) في المخطوطة: عاد.

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... بصير بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له في ودّهن نصيب
[يُردن ثراء المال حيث وجدنه ... وشرخ الشباب عندهن عجيب]
وخالد من غسان أهل حفاظها ... وهندٌ وناسٌ ما صنعت يشيب
ج١/٣٢٨/ط تخشخش أبدان الحديد عليهم ... كما خشخشت بين الحصاد جنوب/
فلم ينج إلا شطبةٌ بلجامها ... وإلا طمر كالقناة نجيب
وإلا كميٌ ذو حفاظٍ كأنه ... بما ابتل من حد الظبات خضيب
وفي كل حي قد خبطت بنعمةٍ ... فحق لشأسٍ من نداك ذنوب
فلا تحرمني نائلاً عن جنايةٍ ... فإني امرؤٌ وسط القباب غريب[1]

فلما بلغ إلى قوله: فحق لشأس من نداك ذنوب، قال الملك: إي والله وأذنبةٌ، ثم أطلق[1] شأساً، وقال له: إن شئت الحباء، وإن شئت أسراء قومك؟ وقال لجلسائه: إن اختار الحباء على قومه فلا خير فيه، فقال: أيها الملك، ما كنت لأختار على قومي شيئاً؛ فأطلق له الأسرى من تميم وكساه وحباه، وفعل ذلك بالأسرى جميعهم وزودهم زاداً كثيراً. فلما بلغوا بلادهم أعطوا جميع ذلك لشأس، وقالوا: أنت كنت السبب في إطلاقنا فاستعن بهذا على ج١/٧٩/ب دهرك،/ فحصل له مال كثير من إبل وكسوة وغير ذلك.

عبدة: بفتح العين والباء الموحدة.

[وقيل في قتله: أنه جمع عسكراً ضخماً وسار حتى نزل الشام، وسار ملك الشام، وهو عند الأكثر ـ الحارث بن أبي شمر، فنزل مرج حليمة، وهو ينسب إلى حليمة بنت الملك، ونزل الملك اللخمي في مرج الصفر، فسيّر الحارث فارسين طليعةً، أحدهما: فارس خصاف، وكانت فرسه تجري على ثلاث فلا تلحق، فسارا حتى خالطا القوم وقربا من الملك وأمامه شمعة فقتلا حاملها. ففزع القوم، فاضطربوا بأسيافهم، فقتل بعضهم بعضاً حتى أصبحوا، وأتاهم رسل الحارث ملك غسان ببذل الصلح والإتاوة. وقال: إني باعث رؤوس القبائل لتقرير الحال، وندب أصحابه، فانتدب له مائة غلام؛ وقيل: ثمانون غلاماً، فألبسهم السلاح وأمر ابنته حليمة أن تطيبهم وتلبسهم ففعلت[٢].

(١) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١/ ١٤٥، ١٤٦)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٢١/ ١٩٩، ٢٠١)، وذكره البغدادي في «خزانة الأدب» (١/ ٥٦٥)، وأنظر ديوان علقمة بن عبدة (ص: ٢٠).

(٢) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١/ ١٩٥).

(1) في المخطوطة: انطلق.

فلما مر بها لبيد بن عمرو فارس الزيتية قبلها، فأتت أباها باكيةً، فقال: هو أسد القوم ولئن سلم لأنكحنه إياك، وأمّره على القوم وساروا، فلما قاربوا العسكر العراقي جمع الملك رؤوس أصحابه، وجاءت الغسانيون وعليهم السلاح قد لبسوا فوقها الثياب والبرانس. فلما تتاموا عند الملك أبدوا السلاح فقتلوا من وجدوا، وقتل لبيد بن عمرو ملك العراقيين، وأحيط بالغسانيين فقتلوا إلا لبيد بن عمرو، فإنّ فرسه لم تبرح، فاستوى عليها، وعاد فأخبر الملك، فقال له: قد أنكحتك ابنتي حليمة[1].

فقال: لا يتحدث الناس أني فلّ مائة، ثم عاد إلى القوم فقاتل فقتل، وتفقد أهل العراق أشرافهم وإذا بهم قد قتلوا، فضعفت نفوسهم لذلك وزحفت إليهم غسان فانهزموا/ .

ج١/٣٢٩ط

قلت: قد اختلف النسابون وأهل السير في مدة الأيام وتقديم بعضها على بعض، واختلفوا أيضاً في المقتول فيها، فمنهم من يقول: إن يوم حليمة هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن ماء السماء، ويوم أباغ هو اليوم الذي قتل فيه المنذر بن المنذر، ومنهم من يقول بضد ذلك، ومنهم من يجعل اليومين واحداً، فيقول: لم يقتل إلا المنذر بن ماء السماء، وأما ابنه المنذر فمات بالحيرة، وقيل: إن المقتول من ملوك الحيرة غيرهما، فالصحيح: أن المقتول هو المنذر بن ماء السماء لا شك فيه، وأما ابنه ففيه خلاف كثير، والأصح أنه لم يقتل، ومن أثبت قتله اختلفوا في سببه، على ما ذكرناه، وإنما ذكرت اختلافهم والحادثة واحدة؛ لأن كل سبب منها قد ذكره بعض العلماء، فمتى تركنا أحدهما ظن من ليس له معرفة أن كل سبب منها حادث مستقل، وقد أهملناه، فأتينا بهما جميعاً لذلك ونبهنا عليه].

ذكر قتل مضرط الحجارة

وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة، وكان يلقب: مضرط الحجارة لشدة ملكه وقوة سياسته، وأمه هند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن آكل المرار، وهي عمة امرىء القيس بن حجر بن الحارث، وكان سبب قتله أنه قال يوماً[1] لجلسائه: هل تعلمون أن أحداً من العرب من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمي؟ قالوا: ما نعرفه إلا أن يكون عمرو بن كلثوم التغلبي، فإن أمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة، وعمها كُليب

(١) ذكره ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٢/٢٩٦).

(1) في المخطوطة: يوم.

وائل، وزوجها كلثوم، وابنها عمرو، فسكت مضرط الحجارة على ما في نفسه، وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستزيره، ويأمره أن تزور أمه ليلى أم نفسه هنداً بنت الحارث، فقدم عمرو بن كلثوم في فرسان من بني تغلب، ومعه أمه ليلى، فنزل على شاطىء الفرات، وبلغ عمرو بن هند قدومه[1]، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والفرات، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فصنع لهم طعاماً، ثم دعا الناس إليه، فقرب إليهم الطعام على باب السرادق، وجلس هو وعمرو بن كلثوم وخواص أصحابه في السرادق، ولأمه هند قبة في جانب السرادق، وليلى أم عمرو بن كلثوم معها في القبة، و[قد] قال مضرط الحجارة لأمه: إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف فنحي خدمك عنك، فإذا دنا الطرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء، ففعلت هند ما أمرها به ابنها، فلما استدعى الطرف، فقالت هند لليلى: ناوليني ذلك الطبق، قالت: لتقم[2] صاحبة الحاجة إلى حاجتها/ ،فألحت عليها، فقالت ليلى: واذلاه! يا آل تغلب! فسمعها ولدها عمرو بن كلثوم، فثار الدم في وجهه والقوم يشربون، فعرف عمرو بن هند الشرّ في وجهه، وثار[3] بن كلثوم إلى سيف بن هند وهو معلق في السرادق، وليس هناك سيف غيره، فأخذه، ثم ضرب به رأس مضرط الحجارة فقتله، وخرج فنادى: يا آل تغلب! فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء، وساروا فلحقوا بالحيرة، فقال [أفنون] التغلبي:

ج١/٣٣٠/ط

لعمرك ما عمرو بن هندٍ وقد دعا ... لتخدم ليلى أمه بموفق
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتاً ... وأمسك من ندمانه بالمخنق[1]

يوم الكلاب الأول

قال ابن الكلبي: أول من اشتد ملكه من كندة حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث الكندي، فلما هلك ملك بعد[4] أبيه عمرو مثل ملك أبيه، فسمي: المقصور؛ لأنه قصر على ملك أبيه، فتزوج عمرو أم إياس بنت عوف بن محلم الشيباني،

(١) ذكره ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١/ ١٥٧)، (١/ ٣٣١) وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (١١/ ٥٣)، (١١/ ٥٥) وذكره أيضاً في «تاريخ سنيّ ملوك الأرض» (٩٣)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (١/ ٢١٠)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٧١)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٢/ ٩٩)، وذكره ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» (٢٣٢)، وذكره البغدادي في «خزانة الأدب» (٤/ ٤٦٠)، وذكره ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (١/ ٢٤٣).

(1) في المخطوطة: قيامه.
(2) في المخطوطة: ليقم.
(3) في المخطوطة: فثار.
(4) في المخطوطة: بعده.

فولدت له الحارث، فملك بعد أربعين سنة، وقيل: ستين سنة، فخرج يتصيد فرأى عانة، وهي حمر الوحش، فشد عليها، فانفرد منها حمار، فتتبعه وأقسم أن لا يأكل شيئاً قبل[1] كبده، وهو بمسحلان[1][2]، فطلبته/ الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته، فأتي به، وقد كاد يموت من الجوع، فشوي على النار وأطعم من كبده وهي حارّة، فمات. ج١/٣٣١/ط

وكان الحارث فرق بنيه في قبائل معد، فجعل حجراً في بني أسد وكنانة، وهو أكبر ولده، وجعل شرحبيل في بكر بن وائل وبني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم [وبني أسيد بن عمرو بن تميم، والرِّباب، وجعل سلمة، وهو أصغرهم، في بني تغلب، والنمر بن قاسط، وبني سعد بن زيد مناة بن تميم]، وجعل ابنه معد يكرب، ويعرف: بغلفاء، في قيس عيلان، وقد تقدم هذا في قتل حجر أبي امرىء القيس، وإنما أعدناه ههنا للحاجة إليه.

فلما هلك الحارث تشتت أمر أولاده وتفرقت كلمتهم، ومشى بينهم الرجال، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف إليه [بالجيوش فسار] شرحبيل فيمن معه من الجيوش، فنزل الكلاب، وهو ماء بين البصرة والكوفة، وأقبل سلمة فيمن معه وفي الصنائع أيضاً، وهم قوم كانوا مع الملوك من شذاذ العرب، فأقبلوا إلى الكلاب وعلى تغلب: السفاح بن خالد بن كعب بن زهير، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وثبت بعضهم لبعض، فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكر بن وائل وانهزموا، وثبتت بكر، وانصرفت بنو سعد ومن معها عن تغلب، وصبرت تغلب، ونادى منادي [شرحبيل: من أتاني برأس سلمة فله مائة من الإبل، ونادى منادي] سلمة: من أتاني برأس شرحبيل فله مائة من الإبل، فاشتد القتال حينئذٍ، كل يطلب أن يظفر، لعله يصل إلى قتل أحد الرجلين[3]، ليأخذ مائة من الإبل، فكانت[4] الغلبة آخر النهار لتغلب وسلمة، ومضى شرحبيل منهزماً، فتبعه ذو السنينة التغلبي، فالتفت إليه شرحبيل فضربه على ركبته فأطن رجله، وكان ذو السنينة أخا أبي حنش لأمه، فقال لأخيه: قتلني الرجل! وهلك [ذو السنينة]، فقال[5] أبو حنش لشرحبيل: قتلني الله إن لم أقتلك! وحمل عليه فأدركه، فقال: يا أبا حنش اللبن اللبن! يعني: الدية، فقال: قد هرقت لبناً كثيراً! فقال: يا أبا حنش أملكاً بسوقة؟ فقال: إن أخي

(١) بمسحلان: ملتقى النخلتين، اليمانية والشامية.

(1) في المخطوطة: غير.
(2) في المخطوطة: بمحلسلان.
(3) في المخطوطة: الرجلان.
(4) في المخطوطة: وكانت.
(5) في المخطوطة: وقال.

ملكي فطعنه فألقاه عن فرسه، ونزل إليه فأخذ رأسه وبعث به إلى سلمة مع ابن عم له، فأتاه ج١ ١/٨٠ به[1] وألقاه بين يديه/، فقال سلمة: لو كنت ألقيته أرفق من هذا!، وعرفت الندامة في وجه سلمة والجزع عليه، فهرب أبو حنش منه، [فقال سلمة]:

ج١ ط/٣٣٢ ألا أبلغ أبا حنش رسولاً ... فما لك لا تجيء إلى الثواب/
لتعلم أن خير الناس طراً ... قتيلٌ بين أحجار الكلاب
تداعت حوله جشم بن بكر ... وأسلمه جعاسيس الرباب

فأجابه أبو حنش فقال:

أحاذر أن أجيئك ثم تحبو ... حباء أبيك يوم صُنَيْبعات
وكانت غدرةٌ شنعاء تهفو ... تقلدها أبوك إلى الممات[1]

وكان سبب يوم ضبيعات: أن ابناً للحارث كان مسترضعاً في [2]تميم وبكر[2]، ولدغته حية فمات، فأخذ خمسين رجلاً من تميم، وخمسين رجلاً من بكر فقتلهم به، ولما قتل شرحبيل قام بنو زيد مناة بن تميم دون أهله وعياله، فمنعوهم، وحالوا بين الناس وبينهم حتى ألحقوهم بقومهم [ومأمنهم]، ولما بلغ خبر قتله أخاه معد يكرب[3]، وهو غلفاء، قال يرثيه:

إن جنبي عن الفراش لنابي[4] ... كتجافي الأسر[٢] فوق الظراب
من حديثٍ نمى إليّ فما تر ... قأ عيني ولا أسيغ شرابي
[مرة كالذعاف أكتمها الناـ ... ـاس على حرّملةٍ كالشهاب
من شرحبيل إذ تعاوره الأر ... ماح من بعد لذةٍ وشباب]
يا ابن أمي ولو شهدتك إذ تد ... عو تميماً وأنت غير مجاب
ثم طاعنت من ورائك حتى ... يبلغ الرحب أو تبز ثيابي
أحسنت وائلٌ وعادتها الإحـ ... ـسان بالحبو يوم ضرب الرقاب

(١) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٧٤)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (١/ ٢١٦، ٢١٧)، (١/ ٢٢٥)، وذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٩/ ٨٢)، وذكره ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» (٣٠٤)، (٤٢٧)، وذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ٢٢٢، ٢٢٣)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/ ٤٠٦، ٤٠٧)، .

(٢) الأسر: داء في سرة البعير إذا برك تجافى.

(1) في المخطوطة: له.
(2-2) في المخطوطة: بكر وتميم.
(3) في المخطوطة: بن يكرب.
(4) في المخطوطة: كباب.

يـــوم فـــرت بـــنـــو تـــمـــيـــم ووولـــت خـيـلـهـم يـتـقـيـن[1] بـالأذنـاب/[1] ج١/٣٣٣/ط

وهي طويلة، ثم إن تغلب أخرجوا سلمة من بينهم، فلجأ إلى بكر بن وائل وانضم إليهم، ولحقت تغلب بالمنذر بن امرىء القيس اللخمي.

الكلاب: بضم الكاف، **أُسيد**: بن عمرو: بضم الهمزة، وفتح السين المهملة، وتشديد الياء المثناة من تحت، **وذو السنينة**: بضم السين المهملة، تصغير سن، **والرباب**: [2]بكسر الراء[2]، وتخفيف الباء الأولى [الموحدة].

يوم أوارة الأول

وهو يوم كان بين المنذر [بن] امرىء القيس وبين بكر بن وائل، وكان سببه: أن تغلب لما أخرجت سلمة بن الحارث عنها[3] التجأ إلى بكر بن وائل، كما ذكرناه آنفاً، فلما صار عند بكر أذعنت له وشحدت عليه، وقالوا: لا يملكنا[4] غيرك، فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته، فأبوا ذلك، فحلف المنذر ليسيرن إليهم فإن ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل أوارة، حتى يبلغ الدم الحضيض، وسار إليهم في جموعه، فالتقوا بأوارة فاقتتلوا قتالاً شديداً، وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر، وأسر يزيد بن شرحبيل الكندي، فأمر المنذر بقتله، فقتل؛ وقتل في المعركة بشرٌ كثير، وأسر المنذر من بكر أسرى كثيرةٍ، فأمر بهم فذبحوا على جبل أوارة، فجعل الدم يجمد. فقيل له: أبيت اللعن، لو ذبحت كل بكري على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض! ولكن [لو] صببت عليه الماء! ففعل، فسال الدم إلى الحضيض، وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار[٢].

وكان رجل من قيس بن ثعلبة منقطعاً إلى المنذر، فكلمه في سبي بكر بن وائل، فأطلقهن المنذر، فقال الأعشى يفتخر بشفاعة القيسي إلى المنذر في بكر:

ومـنـا الـذي أعـطـاه بـالـجـمـع ربـه عـلـى فـاقـةٍ ولـلـمـلـوك هـبـاتـهـا
سـبـايـا بـنـي شـيـبـان يـوم أوارةٍ عـلـى الـنـار إذ تـجـلـى بـه فـتـيـاتـهـا[٣]/ ج١/٣٣٤/ط

(١) ذكره اليعقوبي في «تاريخه» (١/ ٢١٧).
(٢) ذكره الأصفهاني في «الأغاني» (٢٢/ ١٨٧)، .
(٣) أنظر «المفصل في تاريخ العرب»(٣/ ٢٢٧)، و «أيام العرب» (٩٩).

(1) في المخطوطة: منسوب.
(2-2) في المخطوطة: بالكسر.
(3) في المخطوطة: و.
(4) في المخطوطة: يهلكنا.